الأديان المعاصرة

تأليف

راشد عبد الله الفرحان

الطبعة الثانية

١٤٠٦ - ١٩٨٥

الإيداع بدار الكتب الوطنية
بنغازي رقم 830 1990

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا
مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾. آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فقد عرضت لنا أثناء لقائنا الأسبوعي ، بعض المسائل التي تتعلق بديانة أهل الكتاب من النصارى واليهود وعلاقتها بالإسلام ، ومن بين تلك المسائل ما يتصل بالعقيدة ، والشعائر الدينية ، والكتاب المقدس ، وما هو قدر الإتفاق والإختلاف في ديانة سماوية المفترض أنّها من عند الله ، وأنّ الجميع يعبدون إلها واحدا ، فطلب مني بعض الأخوة أن أقوم بدارسة موجزة حول الموضوع يمكن من خلالها إعطاء فكرة عن هذه الديانات ، والجواب على التساؤلات المطروحة ، وقد كان للتشجيع الذي لقيته من الأصدقاء الذين اطلعوا على فكرة البحث حافز على مواصلةالكتابة رغم قلة المراجع وتشعب الموضوع ، وحساسية الكتابة فيه ، فاستعنت بالله العليّ القدير ، وقمت بهذا الجهد المتواضع ، الذي أقدمه زادا للدعاة المسلمين ، ليستعينوا به على محاجّة أهل الكتاب ، الذين هم فيما ظهر لي من الدراسة أنهم أشدّ حاجة من المسلمين ليتعرفوا على حقيقة دينهم ، إذْ هم في الوقت الذي يوجهون الإنتقاد والتهم للإسلام والمسلمين ، يجهلون الحقائق الكثيرة عن دينهم وعقيدتهم وطقوسهم ، فلقد كان لسيل التزيف الطامي ، أثره في مباعدة الناس عن عبادة ربهم بل لقد وضعت حواجز كثيفة من الضلالات لمنع الكثرة من الناس من الوقوف على حقائق الإسلام وسماحته ،وعدله وإنسانيته ، بل صوّر لدى البعض بأنه الدّابة التي تلتهم من حولها ، وأن ظهور نبي الإسلام دلالة على قرب فناء العالم وقيام الساعة .

لقد بذل الغربيون يتقدمهم المبشرون والمستشرقون جهودا كبيرة لسلخ روح التدين في المجتمعات وإحلال العلمانية الكافرة محلها . ليسهل بذر الفرقة، والبعد عن الوحدة .

وإني إذ أنوه بفضل السابقين الذين كتبوا في موضوع مقارنة الأديان ، أجانب

ومسلمين وأعني بهم الذين كتبوا بإخلاص وتجرد وحسن نية ، فجزا الله الصادقين منهم خيراً على عملهم ، وقد حاولت أن يكون الكتاب موجزا ووافيا بالمعلومات التي ينشدها السائل ويتطلبها المتسائل ، وقد تعرضت في الحديث لبعض الفرق المتسبة أو المنسوبة للإسلام ، في شيء من الإيجاز وقد تركت الخوض في تفاصيل المسائل وفلسفاتها ، والبحث في أصل نشأتها ، تجنبا للإطالة والملل ، وخشية أن تضيع الفائدة ويخرج البحث عن المقصود ،وإني آمل من كل قارىء يرى ملاحظة، أو يعن له رأي، أن يبصرنا به فالكمال لله وحده ،والله هو المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير .

راشد عبدالله الفرحان

الكويت في : ٥جمادى الأخرة ١٤٠٥
١٩٨٥/٢/٢٦
ص . ب ٣٨٤٨

الأديـــــان المعاصـــرة

الأديان جمع دين ، والدين بالكسر العادة والشأن، ويطلق على الجزاء والمكافأة ، وعلى الطاعة، وعلى الاخضاع، وعلى الشريعة، وما يؤخذ العباد به من التكاليف، والاديان بهذا المعنى كثيرة، والانبياء الذين أرسلهم الله كثيرون كذلك، منهم من قص الله اخبارهم وأحوالهم علينا ، ومنهم من لم يقصص علينا . ومن الذين قص الله أخبارهم وأحوالهم علينا ، وأنزل عليهم كتباً تتلى ثلاثة أديان هم : موسى عليه السلام من بني اسرائيل، وتسموا باليهود، وكتابهم (التوراة) ويسمى العهد القديم، وأتباع عيسى عليه السلام من بني إسرائيل، وتسموا (بالنصارى) وكتابهم الإنجيل ويسمى العهد الجديد، وأتباع محمد ﷺ ، الناس كافة، لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وكتابهم القرآن، وقد سماهم الله بالقرآن (المسلمين).

ومن المعلوم أنَّ رسالة الاسلام قد نسخت جميع الرسالات قبلها ، لقول الله عز وجل «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»[1] ودعوة نبي الاسلام إلى الناس كافة، فلا يجوز بعد مجيء الاسلام أن يكون للبشر عدة أديان يدينون بها ، بل دين واحد، ورب واحد، ونبي واحد، ومن لا يدين بدين الاسلام يعد كافراً ، لكن أعداداً كثيرة من البشر أصرَّت في زماننا المعاصر على اتباع ما يدين به آباؤهم وأجدادهم، تقليداً بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير. وهذه الديانات والطوائف والفرق المعاصرة، كانت في الاصل ديانات سماوية صحيحة منزلة من عند الله، لكن بمرور الزمن حرِّفت وغيِّرت، وقد ظل أصحابها متمسكين بأهدابها، وصاروا يجتهدون بالزيادة والنقصان فيها ، ومن بين تلك الطوائف والفرق من كانت له جذور وأصول إسلامية، فهم إذاً جميعاً أصحاب ديانات لكنها محرفة ، لا يزال يتعبد بها ويعتقدها أناس معاصرون، فهي على المعنى المتقدم ـ للدين ـ أديان معاصرة. وقد وجدنا الاسلام قد اعترف بوجود هذه الأديان المعاصرة لعهد النبي محمد ﷺ ، وقرر لها أحكاماً في الزواج والذبائح ، والمعاملة، والخدمة العسكرية والشئون الاجتماعية، وقرر الفقهاء في المستأمنين تلك القاعدة العظيمة المشهورة، التي يفتقر اليها العالم المعاصر في التعامل بين الناس «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» وعلى ذلك يجب أن نفهم هذه الأديان المعاصرة لكي يمكن التعامل معها على بصيرة. ونحن إذ ندرس هذه الملل والنحل ونقدمها للناس على حقيقتها ، انما نناقش أصحابها لعلهم الى صراط الحق يهتدون.

---

(١) سورة آل عمران الآية : ٨٥

اليهـــود

(١) ينحـدر اليهود من العـرق السامي نسبـة إلى سام بن نـوح عليه السـلام ـ الـذي ينسب إليه الأشوريون والعرب كذلك ـ ويطلق عليهم العبريـون والعبرانيـون ، أي البدو، الذين يعبرون الصحارى طلبا للعيش من غير استقـرار ، وليميزوا عن أهـل العمران ، ولمـا استوطن اليهـود بعض أجزاء من أرض كنعـان ، وعـرفـوا المدينة والإستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري ، التي تذكرهم بحياتهم الأولى حيـاة البداوة والخشـونة ، وأصبحـوا يؤثـرون أن يعـرفـوا ببني إسـرائيـل فقط ، وإسرائيل هو لقب نبي الله يعقوب عليه السلام ، الذي انحدرت منه أسباط بني إسرائيل وقبائلهم في الماضي .

ومعنى اليهود : أي الذين هادوا أي تابوا ورجعوا ، وما أكثر ما يتوبون ويرجعون وينكثون، وينقضون عهد الله ، ويسميهم المسلمون (أهل الكتاب) لنزول التوراة عليهم ، وكلمة اليهود تعني كل من دخل في الدين، ولو لم يكن من بني اسرائيل في الأصل فهي أعم. وحين أصاب القحط بني كنعان وهي أرض فلسطين، رحل نبيُّ الله يعقوب ومن معه إلى مصر، بناء على دعوة نبيّ الله يوسف عليهما السلام لهم ، حيث كان هناك مقربا من الملك العربي ملك مصر، وكان عددهم نحو سبعين نسمة، وتكاثر عددهم هناك، ولقي اليهود من حكّام مصر معاملة حسنة، إذ لم يكونوا من الأقباط الفراعنة، فقد كان حاكم مصر في ذلك الوقت يدعى الوليد بن الريان، وهم من الرعاة الهكسوس من أصل عربي.

ولما طرد الفراعنة الهكسوس من الحكم، اضطرب موقف اليهود وساءت معاملتهم، وكان ما كان من قصة فرعون وموسى، حتى خرج بهم موسى إلى فلسطين ماراً بسيناء عبر البحر، حيث منّ الله عليهم بالنجاة ، وأنزل عليهم التوراة.

الأسباط

(٢) الأسباط هم أولاد يعقوب الإثنا عشر ، الذين انحدرت منهم القبائل الإسرائيلية ، والذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1] .

وهم كالآتي :ـ[2]

١ ـ رأوبين	٧ ـ جـاد
٢ ـ شمعون	٨ ـ أشير
٣ ـ لاوي	٩ ـ يساكر
٤ ـ يهوذا	١٠ ـ زبلـون
٥ ـ دان	١١ ـ يوسف
٦ ـ نفتالي	١٢ ـ بنيامين

ويجزم الباحثون أن من يزعمون أنفسهم « يهوداً » في كل مكان من عالم اليوم ـ وبالأخص المتواجدون في أرض فلسطين اليوم ـ ليسو من الوجهة التاريخية الصحيحة ، من سلالة الذين عرفوا « يهود الأرض المقدسة » في تاريخ « العهد القديم » .

وقد استطاع « بنيامين فريدمان » في بحثه « حقائق الحياة » دحض تلك الكذبة الكبرى ويثبت بما اطلع عليه من المستندات في مكتبة نيويورك وغيرها

(١) سورة آل عمران الآية : (٨٤) .

(٢) تفسير سورة يوسف عبد الله العلمي جـ ١ ص ٢٠٨ .

ـ أن من يـزعمون أنفسهم يهـوداً هم تاريخيـاً ينحدرون عـلى نحو لا يـرقى إليـه الشك ، من سلالـة الخزر ـ بـالإعتناق والتحـول ، ذلك الشعب الـوثني القديم الفنلنـدي المغولاني ، الغـامض الأصول بـالنسبة لـوجوده التـاريخي في قلب آسيا الذي شق طريقه إلى أوروبا الشرقية حيث أقام مملكة الخزر ، والتي اختفت تماماً عن خارطة أوروبا ، في حوالي سنة ٢٧٠ م أصبحت مملكة الخـزر الوثنيـة تشكل شعب من يزعمون أنفسهم « يهوداً » كما أضحى الملك بولان أول ملك للخزر ، في السنة ذاتها يدعى « يهودياً » بالتحول والإعتناق .

وكـما اختفت خارطـة مملكة الخـزر من تاريـخ أوروبا الشـرقية ، كـذلـك أخفيت كل الحقائق عن مسيحي ا لولايات المتحدة بواسطة الرقابة اليهودية عـلى جميع أجهزة الإعلام ، وقد واجه مؤلف « حقائق الحياة » نفسه غضب اليهود ، كما واصلوا صب جام غضبهم وحقدهم على كل من يثير كشف تلك الحقائق التاريخية .

ويمكن الإطلاع على الموضوع في المجلد الـرابع (ص ١ ـ ٥) من الـطبعة لـ « الموسوعة اليهودية » الصادرة سنة ١٩٠٣ التي يمكننا الإطـلاع على أصلهـا في مكتبة الكونغرس ومكتبة نيويورك العامة ، وهناك توجـد الخارطـة المهمة لمملكـة الخزر في القرن العاشر الميلادي ، هذا بالإضافة إلى وجود ٣٢٧ كتـاباً وضعهـا أعظم مؤرخي العالم عن تاريخ الخزر مؤلفه بتسعة عشر لغة قديمة وحديثة (١) .

---

(١) يهود اليوم ليسو يهوداً « بنيامين فريدمان » ترجمة « زهدي الفاتح » .

النصــارى

(٣) هم أتبـاع عيسى بن مريم ابنـة عمران عليـه السلام من اليهـود ، وسمو بـذلك لأنهم نـاصروه واتبعـوه ، وحملوا دعوتـه وتسمو بـالمسيحيين نسبـة للمسيح عليـه السلام ، وكانوا في الأصل اثني عشر رجلا ، يقال لهم الحـواريون والـرسل ، ولفظ المسيح لقب لسيدنـا عيسى عليه السـلام ، ولشهرة هـذا اللقب قد يتقـدم على الاسم كما جاء في الآية الكريمة ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1] ، وأصله بالعبرية مشيحا ، ومعناه المبارك ، ومعنى عيسى السيد وهو معرب يشوع .

ولد المسيح في بيت لحم وقامت دعوته وأنصاره في الناصرة بفلسطين ، وقد بعثه الله في الثلاثـين من عمره ، عـلى رسالـة التوحيـد وكان لبّ دعـوته التبشـير بالروح ، وهجر الملاذ الضالة ، وأيده الله بمعجزات خـارقة هـامة ذكـرها الله في القرآن الكريم بقوله تعـالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

---

(١) سورة آل عمران : (٤٥) - (٤٨) .

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١) ، والمعجزة الخامسة إنزال المائدة التي طلبها الحواريون ، والتي سميت فيها بعد تحريفا بالعشاء الرباني .

كثر الأتباع وكثرت المجامع واشتد العداء بين أتباع موسى وأتباع عيسى، فكان ردّ الفعل عنيفا بين الطائفتين ، حيث أنّ عداوة اليهود البغيضة لعيسى وأتباعه ، المسفهة لأرائهم ودعوتهم ولّدت الغلو والإنحراف والزيغ من جانب النصارى لعيسى ! فابتكروا أمية الدعوة ، وعموم الرسالة وخرجوا بها إلى أماكن متعددة ، حيث تلقاها عدد كثير من الناس ممن لا يكنون لليهود العنصريين عطفا ولا إحتراما ، وقد توسعت المسيحية بدخول الرومان والآشوريين والأقباط والكلدان وغيرهم ، حتى أصبحت ،الآن طوائف تضم معظم مناطق العالم، في أوروبا وأمريكا .

الحواريون

(٤) وهم كما في إنجيل متى :

١ ـ سمعان المعروف باسم بطرس .
٢ ـ اندراوس أخو سمعان .
٣ ـ يعقوب بن زبدي .
٤ ـ يوحنا أخو يعقوب .
٥ ـ فيليبس .
٦ ـ برمثمولماوس .
٧ ـ توما .
٨ ـ متى العشار .
٩ ـ يعقوب بن حلفي .
١٠ ـ بتاوس الملقب تدّاوس .
١١ ـ سمعان القانوني (الغيور) .
١٢ ـ يهوذا الأسخريوطي (الخائن) الذي اختير مكانه متياس .

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤٩ ـ ٥٢) .

الإيمان بالله عند اليهود

(٥) يعتقد اليهود بوجود الله ووحدانيته ، وأنه خالق السموات والأرض إله العالمين ، على أن هذه العقيدة التي نادى بها جميع أنبياء بني اسرائيل ، من لدن أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام ؛ لم يستطع اليهود أن يحتفظوا بها ويستقروا عليها طيلة فترة حياتهم ، وكان اتجاههم إلى التجسيم ، والتعدد والنفعية ، واضحاً في جميع مراحل تاريخهم ، حيث صوّروا الله تعالى في صور مجسمة تشسبه البشر، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف والكذب والغفلة والجهل ، وظهر هذا في كثير من قصص أسفارهم ، وبنوا اسرائيل كما يقول (ول ديورانت) لم يتخلوا قطّ عن عبادة العجل والكبش والحمل ، ولم يستطع موسى أن يمنع قومه من عبادة العجل الذهبي ، لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية في ذاكرتهم منذ كانوا في مصر[١] وظلو زمنا طويلا يتخذون هذا الحيوان القوي آكل العشب رمزاً لإلهم (يهو) . وتقرر التوراة قصة العجل الذي عمله لهم (السامري) فعبدوه بعد أن تأخر موسى في العودة إليهم حينما ذهب لمناجاة الله ، وكيف خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرّب ، وقد أعدم موسى ثلاثة آلاف منهم عقابا لهم على عبادة هذا الوثن[٢] وقد بقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من حين إلى حين ، فقد عمل يربعام بن سليمان عجلي ذهب ليعبدهما أتباعه ، حتى لا يحتاجون إلى الذهاب إلى الهيكل ، وقد عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد سليمان بقرن واحد .

وكانت الحية معجزة موسى عليه السلام ، تعتبر مقدسة عندهم لأنها تمثل الحكمة والدهاء والإنسياب ، ولأنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان .

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٣٣٨ (٢) الخروج ٣٢ : ١٨ ـ ٢٦ .

(٢) الخروج ٣٢ : ١٨ ـ ٢٦ . وقد أشار القرآن لتلك القصة في سورة البقرة الآية (٥٤) وسورة طه الآية : (٨٥).

وبعد موسى ، وفي عهد القضاة ، تأثر بنو إسرائيل بمعبودات العرب الكنعانيين تأثرا كبيرا ، ويوضح (كنت) أنّ إلٰه الكنعانيين « بعل[1] أصبح معبودا لبني إسرائيل في كثير من قراهم وفي أحوال كثيرة أصبح للطائفتين معبد واحد، به تمثال يهوه وتمثال بعل ، بل أصبح يهوه الربّ لبني إسرائيل ينادي : بعل ، وقد ظل ذلك إلى عهد يوشع .

وقد أشار إلى ذلك القرآن حيث قال الله تعالى ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ وفي خلال الأسر البابلي هب أشعيا بدعوة جديدة كانت تطويرا للمرحلة السابقة . ونجد في هذه الدعوة ملامح الوحدانية الحقة ، إذ أخذ يتحدث عن إله لا عهد للأسفار به ، إنه الإله الواحد ، إله العالمين ، خالق الكون ورازقه ، المحب العطوف ، الذي لا يهوى التدمير ولا يحب الأذى ، وتبعا لذلك هاجم أشعيا الأصنام وسفّه عبادتها ومما جاء ببعض فقرات من هذا السفر المسمّى أشعيا » .

« أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري، كل شيء أنا أعلم به . . . أنا الربّ صانع كل شيء ناشر السموات وحدي ، باسط الأرض من معي ؟ مبطل آيات المخادعين ، وممحق العرافين ، مرجع الحكماء إلى الوراء ، ومجهل معرفتهم ، مقيم كلمة عبده ومتمم رأي رسله »[2] .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٣٨ وسورة الصافات الآيات : ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(٢) أشعيا الأصحاح ٤٥ ، وراجع كتاب مقارنة الأديان (اليهودية) د . أحمد شلبي ص ١٧٥

الإيمان بالله عند النصارى

(٦) لما فسدت حياة بني إسرائيل أرسل الله عيسى إليهم ليردهم إلى جادة الطريق ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، فجاءهم بالإنجيل من عند الله ، فكفروا به وناصبوه العداء، ثم حاولوا قتله وقتلوا شبيها له ، وقالوا إنا قتلنا المسيح عيسى وما قتلوه يقينا بل شبه لهم ، وقد اعتادوا قتل أنبياء الله فقتلوا من قبل يحيى وزكريا ، وولادة عيسى من غير أب في حد ذاتها معجزة من الله للبشر وجواب لأولئك الماديين من الفلاسفة وغيرهم الذين يقولون عن خلق الكون : (إن خلق الكون كان مصدره الأول . كالعلة من معلولها) .

أما عقيدة النصارى الذين آمنوا بعيسى وحملوا دعوته، التي هي دعوة الرسل من قبله : الإيمان بالله الواحد القهار ، ثم بمرور الزمن تناول الأتباع الإنجيل بالتحريف والزيادة حتى أصبح أربعة أناجيل يناقض بعضها بعضا . وصارت الكنيسة هي المهيمنة المتسلطة فقالوا : انّ المسيح الإله انقلب فأصبح إنسانا وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثلى للعيش ، وقتل بيد اليهود ودفن ، ثم خرج من قبره وصعد للسماء، وقد احتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة التي ارتكبها أبوه آدم ، لأن المسيح حسب اعتقادهم له شخصيتان: اللاهوت والناسوت ، أي إلهية وإنسانية، والذي كوّن المسيحية هو شاول الذي سمي فيما بعد بولس ، حيث بدأ يذيع ديانته من انطاكيا ، بأن عيسى منقذ ومخلص وسيّد، استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة، واستعار من فلاسفة اليونان فكرة إتصال الإله بالأرض عن طريق (الكلمة) أو ابن الإله ، أو الروح القدس وهم يقولون (وبعد ثلاثة أيام أمضاها في القبر بعد صلبه قام في الفصح ، ومكث أربعين يوما مع تلاميذه خاصة ، ثم ارتفع للسماء

أمامهم بعد أن أوصاهم بالجد في نشر دعوته باسم الأب والابن وروح القدس[1] وهي التي تسمى الأقانيم الثلاثة .

(٧) ويعلق (ولز) على ذلك فيقول « من العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلا إلى عيسى فسّر فيها مبادىء الكفارة ، والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني[2] .

وهذا ما قاله مسيحي واسع الإطلاع عن « سر الثالوث » « من الناس من يقولون : لِمَ يا ترى اله واحد في ثلاثة أقانيم ؟ أوليس في تعدد الأقانيم انتقاص لقدر الله ؟ أوليس من الأفضل أن يقال : الله أحد وحسب ؟ » لكننا إذا اطلعنا على كنه الإله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وكنه الله محبة ، ولا يمكن إلا أن يكون محبة ، ليكون سعيدا فالمحبة هي مصدر سعادةالله ، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور ، فهي إذن تفترض شخصين على الأقل يتحابان ، وتفترض مع ذلك وحدة تامة بينهما . فليكن الله سعيدا ولا معنى لإله غير سعيد وإلا انتفت عنه الإلوهية ـ كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، ويكون بالتالي صورة ناطقة له ، ولهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه ، ووهبه ذاته ، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ، وبادل الابن الأب هذه المحبة ، ووجد فيه هو أيضا سعادته ومنتهى رغباته ، وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والإبن كانت الروح القدس ، هو الحب إذا يجعل الله ثالوثا وواحدا معا ، ولا يصح أن يكون هذا الكائن الذي حبس الله الأب محبته عليه إلا الإبن ، ولوكان خليقة محدودة ، بشرا أو ملاكا ، لكان الله بحاجة إلى من دونه كمالا ، وعدّ ذلك نقصاً في الله ، والله منزه عن النقص ، فتحتم إذا على الله والحالة هذه أن يحبس محبته على ذاته فيجد فيها سعادته . ولهذا يقول بولس الرسول ـ ويقصدون بالرسول حامل رسالة عيسى وليس بنبي ـ إنَّ الابن هو صورة الله غير المنظورة وبكر كل خلق (كولوس ١ : ١٥) » ليس الله كائنا تائها في الفضاء منعزلا في السماء لكنه أسرة مؤلفة من

---

(١) قصة محاكمة المسيح وصلبه في متى الأصحاح ٢٧

(٢) مقارنة الأديان ص ١٠٥ .

أقانيم ثلاثة تسودهـا المحبة وتفيض منهـا على الكـون براءتـه ، وهكذا يمكننـا أن نقول إنَّ كنه الله يفرض هذا التثليث »[1] .

ولكن الإيمان بهذا الثالوث خلق لهم مشكلة ، تلك هي محـاولة التـوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية والتي قالت بها التوراة بصراحة ، وبين القول بعبادة الثالوث، وحينئذ جدّ جدهم وجندوا جنودهم وأعملوا عقولهم وقالوا تلك الفلسفة لكي يوفقوا بها بين الوحدانية والتثليث ، ولكنهم عندما قـالوا ذلـك لم يكونوا يقنعون به ، وصرحوا بعدم إقتناعهم أحيانا .

(٨) ويقـول الدكتـور أحمد شلبي : « لقـد حاولت جهـدي أن أصل إلى جـواب عن طـريق القـراءة أو المحـادثـة مـع النصـارى ، ولكني أقـرر أنني لم أستـطع فهم إجاباتهم ، بل صرح كثير منهم أن هذه المسـائل مسـائل إعتقـاد لا فهـم ، وهي مسائل أساسية ومدخل للدين فكيف لا تفهم ؟ » .

وقد عصر الدكتور يوسف فكره في قاموس الكتـاب المقدس فقـال « طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب والله الابن، والله الـروح القدس » وهـذا القول يـذكرنـا بقول اليهـود المضحك الـذي جعلهم شعب الله المختار ، يقولون « عندما تجلى الله لموسى ولبني اسرائيل تمّ زواج بين الله وبين إسـرائيل ، وسجل عقد الزواج بينهما ، وكانت السموات والأرض شهودا لهذا العقد»[2] .

---

(١) Judaism Ed. by Arthur Hertzberg P.119.

(٢) الأب بولس الياس اليسوعي : يسوع المسيح ص (٧٦ ـ ٧٧) ومقارنات الأديان ص ١٠٧ لأحمد شلبي .

اختلاف في العقيدة

(٩) وعلى الرغم من إتفاق جميع الطوائف المسيحية على القول بالتثليث إلا أنهم اختلفوا في طبيعة المسيح، هل هو ذو طبيعة واحدة لكونه ابن الله، أم أنّ له طبيعتين، طبيعة إلاهية وطبيعة إنسانية لكونه ابن الله وابن الإنسان معا. فذهب إلى أن المسيح ذو طبيعة واحدة إلاهية؛ الكنيسة الشرقية وسمّت نفسها الأرثوذكسية: في مصر والحبشة، ومعظم مناطق أفريقيا، والسريانية والأرمنية في آسيا فيقولون «إنّ الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الآب وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني أقنوم الابن قد تجسّد من روح القدس، ومن مريم العذراء، مصيّرا هذا الجسد معه وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الإختلاط والإمتزاج، والإستحالة بريئة من الإنفصال، وبهذا الإتحاد صار الإبن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة ويسمى المذهب اليعقوبي[١].

وأخذت بالمذهب الآخر؛ الكنيسة الغربية وهو أن للمسيح طبيعتين إلاهية وإنسانية أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت، وأن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معا، وسميت بالكاثوليكية، والبروتستانتية فرع عنها ويقولون «إنّ مريم العذراء ولدت إلها ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا في مجمعهم أنّ للمسيح طبيعتين وأقنوماً واحداًووجها واحداً. ولعنوا المجمع الثاني وتسميه الكنيسة الكاثوليكية (مجمع اللصوص)[٢].

---

(١) نسبة إلى يعقوب البراذعي، داعية المذهب في القرن السادس.

(٢) محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة. ود. أحمد شلبي المسيحية.

رأي الإسلام في عيسى

(١٠) فيما يرمي اليهود نبي الله عيسى عليه السلام بكل نقيصة ، ويتهمون أمه مريم العــذراء الطاهـرة به ، وهم ما زالوا يحتقرونـه ، ويزدرونـه رغم أنه رسـول الله إليهم، نجد النصارى كرد فعل لليهود يقدسونه ، ويجلونه ، بل إنهم رفعـوه إلى مرتبة الإله ، تعالى الله عما يصفون .

في حين يقف المسلمون منه موقفا حقا وسطا فيه تكـريم وإعتدال ، فـلا يرضون له الدنية كما رماه اليهود بها، ولا يعتقدون بأنه إنسانا مقربا من الله جـاء ليخلص البشـر من الخطايـا ، وليهديهم إلى طـريق الله المستقيم يرضى لنفسـه بالصلب والتعذيب والإهانة ، وإزهـاق الروح ، ولا يقـولون في عيسى إلا مـا قاله الله ورسوله فيه ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] أي أنه بشر مرسل من الله كسائر الأنبيـاء والرسـل والإيمان به واجب ، وأن إحترامه فرض على الجميع .

ويؤمن المسلمون بانتهاء رسالة عيسى عليه السـلام بمجيىء رسالـة محمد ﷺ .

---

(١) آل عمران الآية : (٥٩) .

نهاية المسيح على الأرض

(١١) يؤمن المسلمون بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وإنما شبه للذين ظنوا ذلك شخص آخر، وأن الله بعد أن خلصه من أعدائه ونجاه منهم توفاه وذلك بنص القرآن ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾[١] ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٢] وهي موتة طبيعية كسائر الأنبياء كما قال الله عن النبي محمد ﷺ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٣] .

ونؤمن بأن الله بتخليص نبيه عيسى ، ونجاته من الإهانة بالصلب والقتل ، رفع مكانته وأعلى شأنه ، فلم يدل أحد عليه بعد موته ، ولا يعلم مكانه إلا الله ، وفي ذلك يقول عز وجل ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾[٤] . ويرى العلماء المحققون أن الرفع رفع مكانة وتقدير ، وأن عيسى رفعت روحه فقط دون جسده ،كسائر الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين، ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي (ليس في القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى أنه حيّ الآن بجسمه وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال الله في ادريس ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[٥]فحياة عيسى حياة روحيةكحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء)[٦] .

---

(١) سورة آل عمران الآية : (٥٥) .
(٢) سورة المائدة الاية : (١١٦) .
(٣) سورة الزمر الاية : (٣٠) .
(٤) سورة النساء الاية : (١٥٨) .
(٥) سورة مريم الآية: (٥٧).
(٦) كتاب الفتاوي للشيخ شلتوت ص ٧٤ .

ويقول الاستاذ عبد الوهاب النجار : أنه لا حجة لمن يقول عيسى رفع إلى السماء ، لأنه لا يوجد ذكر للسماء بازاء قوله «ورافعك الى»، وكل ما تدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم الى مكان لا سلطة لهم فيه، كقول الله عز وجل في لوط ﴿ فَآمَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) أو لم يقل اني مهاجر إلى السماء.

وجاء في «ظلال القرآن»، (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده)(٢)

وقال الشيخ محمد أبو زهرة انّ نصوص القرآن لا تلزمنا بالاعتقاد بأن المسيح رفع الى السماء جسده ويقول الالوسي في روح المعاني ان قوله تعالى «اني متوفيك» معناها على الأوفق اني مستوف أجلك ، ومميتك موتا طبيعيا ، لا أسلط عليك من يقتلك، والرفع الذي كان بعد الوفاة هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصا وقد جاء بجانبه قوله تعالى «ومطهرك من الذين كفروا» مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم.

ويرى ابن حزم وهو من فقهاء الظاهر أن الوفاة في الآيات تعني الموت الحقيقي، وأن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له، وأن عيسى بناء على ذلك مات ولكنه سيعود قبيل القيامة وعودته احياء جديد.

لقد كتب في هذه المسؤلة الدكتور أحمد شلبي بحثاً طويلاً، وأورد كثيراً من آراء العلماء ممن ذكرنا وغيرهم أمثال الفخر الرازي، والامام محمد عبده ورشيد رضا ، وشيخ الأزهر محمود شلتوت والشيخ محمد الغزالي، والاستاذ صلاح أبو اسماعيل، وغيرهم قالوا بذلك(٣).

وقد تكلف الذين قالوا بحياة عيسى ورفعه الى السماء في تفسير الآيات التي تقول بوفاته، فقالوا في قوله تعالى «متوفيك» قابضك من غير وفاة، أو متوفيك وفاة نوم للرفع، ورأي يقول انه من المتقدم والمتأخر ـ بمعنى رافعك ومتوفيك بعده ـ(٤).

ويشدد العلماء المعاصرون على هذه المسألة بغية الحذر من التأثر بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى هو الإله الابن رفع بعد صلبه وموته الى السماء ليجلس بجوار أبيه الاله الأب.

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٢٦ .

(٢) قصص الأنبياء ص ٥١١ .

(٣) مقارنة الأديان ص ٤٨ .

(٤) الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠١ .

بعث عيسى عليه السلام آخر الزمان ونزوله في الناس

(١٣) بعد أن بينا نجاة عيسى من القتل والصلب، وأنه توفاه الله بموته موتا طبيعيا ، وأن الله أعلى شأنه ومكانته ، برفعه الى المكانة التي تليق به ، حيث لا يعلمها إلا هو ، نقول إنّ هناك أحاديثا صحيحة تفيد حياة عيسى مرة أخرى ونزوله فى الناس في الحياة الدنيا فيحكم بالعدل ويقضي على فتنة المسيح الدجال، ولم أجد حديثا صحيحا يفيد حياة عيسى، أو رفعه الى السماء، بعد ان توفاه الله ، ولا يستدعي بعث عيسى مرة أخرى أن يكون حيا ، بعد أن صرح القرآن بموته ، ولا تفيد الاحاديث الصحيحة نزول عيسى من السماء بل النص يقول نزوله في الناس، ومعناه بعثه فيهم ، وهو ما يدل عليه القرآن .

والقرآن يشير الى أن عيسى عليه السلام سوف يموت موتة أخرى في آخر الزمان بعد أن يبلغ دعوة الله فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به قبل أن يموت عيسى قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[١].

ومعنى الآية أنه ما من أحد من أهل الكتاب في آخر الزمان يدرك عيسى الا آمن به قبل أن يموت عيسى. وكانت دعوة عيسى ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام[٢].

(١) سورة النساء الآية : ١٥٩.

(٢) الملل والنحل للشهر ستاني ج ١ ص : ٢٠١

من هو بولص (الرسول)

(١٤) ولد واضع اللاهوت المسيحي في طرطوس ، حوالي السنة العاشرة ميلادية ، وكان أبوه من الفريسيين اليهود ، ونشّأ ابنه على مبادىء هذه الشيعة الدينية المتحمسة ، إنَّ اسم بولص كان اللفظ اليوناني المرادف للإسم العبري شاول ولهذا ظل الاسمان يطلقان على هذا الرسول منذ طفولته ، وبولص نفسه يهودي كما يقول عن نفسه في كتبه، أو فيما نقله عنه تلميذه لوقا (أنا يهودي فريسيّ ابن فريسيّ على رجاء قيامة الأموات) .

ويقول عنه لوقا في أعمال الرسل ، كان شاول راضيا بقتل المسيحيين ، وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم إلى السجن ، ولم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب ، وعند دخوله المسيحية يقول لوقا (وعندما كان بولص قريبا من دمشق في طريقه إلى أورشليم بغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له ، أنا يسوع الذي تضطهده ؛ فقال يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له (قم وكرّز بالمسيحية) ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيّرت وجه التاريخ ، وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله . ولم تكن هذه الفكرة قد عرفت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول في الدراسات المسيحية ، وكان ذلك سنة (٣٨)[١] ميلادية أي بعد وفاة المسيح ، ثم دخل بولص النصرانية ، وأصبح معلما لها ، وأخذ الزمام في يده ، وهو الذي لم ير المسيح قط ولا سمعه يتكلم ، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، صلة أدخلته المسيحية ، وسكبت في نفسه تعاليمها ، وبهذه الدعوى لم يصر لأحد حق أن يناضله فيما يدعيه من تعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح ،

---

(١) مقارنة الأديان المسيحية ص : ٨٧

وادعى لنفسه العصمة والقداسة . لقد تشكك الناس في أمر بولص ، وحتى تلاميذه انفضوا من حوله بعد سماعهم دعوته ألوهية المسيح ، ولكن تلميذه الطيب الحبيب لوقا ، أخلص له الودَّ وآمن برسالته ، ولم يعرف من النصرانية سواها ، فخدم أستاذه وأحله محلا رفيعا لا يقل عن مقام عيسى نفسه ، وكتب لوقا رسالة أعمال الرسل ، ولكنها في الحقيقة قصة حياة بولص ، وكتب لوقا انجيله ، فأفرغ فيه أفكار أستاذه ، حتى أصبح في الصف الأول مع أنه هو وأستاذه لم يريا عيسى قط ويقول القديس (ترتليانوس) أسقف قرطاجنة (إنَّ انجيل لوقا ينسب كله إلى بولص) . لم يهتم بولص بفكرة ملكوت السموات والأرض ولكنه علَّم الناس أنَّ عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، بل إنّه ابن الله ، نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ، ويصلب ليكفر عن خطيئة البشر ، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة[1] .

(١٥) لقد أرسل الله نبيه عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل مبشرا بالروح وهجر الملاذ التي استغرقت النفوس في تلك الأيام ، واستولت عليها المادة ، وبشر بعالم الآخرة ، ولقد أيده الله بالمعجزات ، وإن ولادته نفسها معجزة ، وهو نفسه يهوديا فكانت دعوته دعوة توحيد لأنها مكملة لرسالة موسى ، والإنجيل الذي علمه للناس مكمل للتوراة ، فرسالة موسى رسالة توحيد ، والتوراة يدعو إلى توحيد الله ، ويطلب من النصراني الذي آمن برسالة عيسى أن يؤمن بالتوراة والإنجيل أي بالعهدين معا ، فكيف يسوغ إدخال ونسب التثليث والإلوهية والفداء لعيسى ، اللهم إلا أن تكون من بدع بولص وتصنيفاته .

إنَّ مما يزيد الأمر تعقيدا ، ويلقي عليه ضلالا من الشك بأن اللاهوت المسيحي من وضع بولص نفسه ، وليس هو الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام ، إنَّ الأناجيل التي بين أيدي الناس والمعترف بها ، والمكتوبة بالمعنى لا باللفظ أنها كتبت على ما جاء في رسائل بولص إلى أصدقائه بمدة طويلة ، حيث بنيت عليها الديانة النصرانية ، ولم تكتب هذه الأناجيل ـ رغم ما فيها

---

(١) الدين المقارن أحمد عبدالمنعم عبدالسلام الحلواني ص ٤٧ جـ ٢١ .

من تناقص مع بعضها ـ في حياة المسيح ولا عن سماع منه ولا برواية ثقة عن ثقة متسلسلة بالتواتر ، الذي يرويه جماعة عن جماعة .

(١٦) نقل الدكتور أحمد شلبي عن «بري» قوله (١) إنَّ شاول كوَّن المسيحية على حساب عيسى ، فشاول هو الحقيقة مؤسس المسيحية وقد أدخل بولص على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة منهم ، كما أدخل صورا من فلسفة الإغريق ، ليجذب أتباعا له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد ، استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الإصطلاحات التي قال بها بولص ، كانت شهيرة عند كثير من الفرق ، فانحاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولص ، وعمد كذلك ليرضي المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفة اليونان فكرة إتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة ، أو ابن الله ، أو الروح ، القدس ، وفيما يلي نبرز بإيجاز نقاطاً كبيرة الأهمية كانت عماد ديانة بولص هي :

١ ــ أن المسيحية ليست دينا لليهود فقط بل هي دين عالمي .

٢ ــ التثليث ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

٣ ــ كون عيسى ابن الله ونزوله ليضحي بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر .

٤ ــ قيامة عيسى من الأموات وصعوده ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر .

(١٧) لقد لفت نظري عبارة وردت في محاضرة الكردينال كوينج ، رئيس أساقفة النمسا التي ألقاها في جامعة الأزهر ، سنة ١٩٦٥ م حيث قال (ثم جاءت المسيحية إمتداداً للتعاليم الموسوية ، تدعو كذلك للإيمان بإله واحد ، وهناك

---

(١) الدين المقارن الدكتور أحمد شلبي ص ٩٠.

عبارة في العهد الجديد من الإنجيل ، تعبر عن الإيمـان بإلـه واحد « ولكن الله واحد » ولا تختلف عقيدة التوحيد في الإسلام في جوهرها عن ذلك)[1] .

أقول :وبذلك يتضح أن جميع كتب الله التوراة والإنجيل والقرآن ، تدعـو إلى توحيد الله ، ولا تقول إنَّ الله ثالث ثلاثة .

---

(١)عقيدة التوحيد في العالم ص ١١ .

الإيمان بالله عند المسلمين

(١٨) بعد أن بعد الناس عن التعاليم التي جاء بها عيسى عليه السلام ، وهي مصححة ومكملة لما جاء به موسى عليه السلام ، ومضت فترة تقدر بستمائة سنة، عبد الناس فيها الأصنام والأوثان ، وصاروا فيها أصحاب جاهلية ، ومن بين تلك الأمم الأمة العربية ، التي تسكن الجزيرة العربية وعاصمتها حينئذ مكة ، أرسل الله نبيه محمدا ﷺ الذي ينتهي نسبه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، فالذين آمنوا به سمّوا المسلمين ، وهي تسمية من عند الله . قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّنكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا ﴾ (١) ومعناها السّلام والأمن والوئام والمحبة والاخوة .

ويعتقد المسلمون بوجود الله ، الواحد الأحد ، الذي خلق السموات والأرض وما بينهما بغير عمد ، كما يؤمنون بجميع كتب الله المقدسة التوراة والإنجيل ، التي لم يدخلها التحريف والزيادات كما يؤمنون بجميع أنبياء الله والمرسلين ، ويعتقدون بأنّ النبي محمدا ﷺ ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن القرآن كتاب الله أنزله لهداية جميع البشر ، وهو معجزة النبي محمد ﷺ ، التي لم يستطع الناس منذ أن أنزل الله القرآن إلى يومنا هذا ، أن يأتوا بمثل ما أتى به ، سواء من الفصاحة والبلاغة لأبناء العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، أو لغيرهم من الناس ، أن يأتوا بالأخبار الغيبية ، وكشف مافي النفوس ، وإعطاء مقولات يكشف العلم عنها في المستقبل .

ويعتقد المسلمون بالبعث يوم القيامة ، وبأنّ الله سيحاسب البشر على ما فعلوا في الدنيا إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ

(١) سورة الحج الآية : ٧٨ .

﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[1] وأنّ الله لا يحاسب إلا من بلغته الدعوة ، وسمع بالإسلام ولم يؤمن به ، وأن كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله دخل الجنة وحوسب على ما اقترفه من ذنوب إن لم يتب إلى الله . وأن الله يغفر الذنوب جميعا بواسع رحمته ، ما عدا ذنب الإشراك بالله ، فيبقى صاحبه في النار إلى ما شاء ربك .

ويعتقد المسلمون بأنّ لله ملائكة في الأرض والسماء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأنّ منهم من وكّل ببني آدم يأمرهم بفعل الخير والعمل الصالح ، وطاعة الله عز وجل .

ويعتقدون بأنّ جميع الأعمال الصالحة التي يقوم بها المسلم في الحياة الدنيا بما في ذلك معاشه اليومي ، يحصل على الثواب من الله بها ، حتى ما يحصل بين الزوج وأهله من الحياة الجنسية له ثواب . قال الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2] .

(١٩) فالإيمان بالله عند المسلمين هو القاعدة الفكرية التي تبنى عليها جميع الأفكار عن الحياة ، وإعطاء الفكرة الكلية عن هذه الأشياء هو حل العقدة الكبرى عند الإنسان ، ومتى حلت هذه العقدة ، حلت باقي العقد ، لأنها جزئية بالنسبة لها ، أو فروع عنها ، لكن هذا الحلّ لا يوصل إلى نهضة صحيحة إلا إذا كان حلا صحيحا يوافق فطرة الإنسان ، ويقنع العقل ، فيملأ القلب طمأنينة .

---

(١) سورة الزلزلة الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(٢) سورة النحل الآية : ٩٧ .

النظرة للآخرة والبعث عند اليهود

(٢٠) كان اليهود في أول نشأتهم يعتقدون كما يعتقد غيرهم من أهل الأديان بالبعث وبالجنة والنار والحساب والعقاب على ما يقدم الإنسان في الدنيا ، من خير أو شر ، غير أن هذه الفكرة سرعان ما تلاشت عندهم واضطربت وماتت وصار اعتقادهم أن الموت خاتمة كل شيء . ولذا كان إهتمامهم بالأعمال دون الإيمان ، وهم في هذا يختلفون عن النصرانية التي تعنى بالإيمان وتجعله يفوق العمل الصالح ، بينما الإسلام يجمع بين الإثنين ، فلا عمل بدون إيمان ، ولا إيمان يَكْمُلُ بدون عمل صالح ، فالإتجاه الخلقي عند اليهود في التصرفات اليومية أهم من الإعتقاد السليم[1] فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم ، الذي لا يدركه الإنسان بحواسه ، وإنما مجالها الأوحد هو هذا العالم الحاضر[2] ويقرر الفكر اليهودي أن الجزاء يكون حسب الأعمال لا حسب الإعتقاد « أشهد السموات والأرض على أنه سواء كان المرء يهوديا أم وثنيا ، رجلا أم إمرأة ، حراً أم مقيداً ، فإنه سينعم بالجزاء حسب أعماله دون سواها »[3] .

والدارس للكتب الإسرائيلية لا يجد فيها ذكرا عن البعث واليوم الأخر ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود ، وكأن الثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا .

(٢١) وعندما تكلم اليهود عن الأخرة ، لم يكونوا في أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم الإنسان في حياته الأولى ، إنما كانوا يعنون بها شيئا آخر ، فعندما شاهدوا تحطيم مملكتهم وتقتيل

---

(١) Berry: Religions oF The Word P.35

(٢) أديان العالم الكبرى حبيب سعيد ص ٨٨ .

(٣) في الفكر اليهودي ص ٣١ وراجع كتاب اليهودية د . أحمد شلبي ص ١٧٨ .

رجالاتهم ، على يد البابليين واليونانيين ثم الرومانيين ثم الأنطاكيين ، وسيقوا إلى الأسر في بابل واحتكوا بحضارة الفرس وديانتهم وفقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض ، أخذوا يتقبلون الفكرة الآخروية ، فبدأ الإيمان بالبعث وبيوم الدين ، أي يوم المحاكمة والإنتصار للشعب المختار يراودهم ، وأخذت الفكرة تنمو في أذهانهم حتى عمّت الجميع ، وانقسم اليهود في هذه النظرة إلى قسمين :

القسم الأول : يرى أن من عاش حياته الدنيا سعيدا حرا ، وهم الذين حصلوا على الجانب المادي من رضا آلهتهم ، وأما الذين عاشوا تحت سلطان غيرهم ، أو عاشوا في المنفى مشردين ، فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم وهذا ما دعوا إليه بالعودة إلى فلسطين وإقامة المملكة الداودية السياسية فيها على يد مخلص يلم شتاتهم العنصري (وهذه هي الصهيونية) .

القسم الثاني :يرى الآخرة كبعث شخصي ومحاكمة شخصية عن الأعمال في الدنيا ، ثم الإحالة إلى ملكوت الله ، وقد لقيت طائفة الفريسيِّين معارضة شديدة عندما حاولت القول بها، وهؤلاء هم المنشقون المنعزلون ، ويسمون أنفسهم « بالأحبار » أو الإخوة في الله « أو الربانيين » وهي الفكرة التي فهمها الأبيونيون وهي التي قال بها السيد المسيح ودعا إليها فيما بعد .

وهؤلاء هم الفرقة التي كانت تدعي أنَّ الجنة خاصة لليهود فقط دون غيرهم ، كما زعم ذلك النصارى فقالوا نفس القول ، فرد الله عليهم في القرآن الكريم ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١١١ .

المسيح المنتظر عند اليهود

(٢٢) إن اغترار بني إسرائيل بما زعموه لأنفسهم من أنهم شعب الله المختار والمفضل على جميع البشر وأجناس الخلق، ولّد لديهم عقيدة (المسيح المنتظر) ومبدأ الفكرة موجود في جميع الأديان إلا أن اليهود يرونه خاص بهم ويصورونه على حسب إعتقادهم .

ولما لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون ، وإنما كانوا هدفا للبلايا والنكبات بما كسبت أيديهم من الآثام والخطايا في حق الإنسانية ، ومن هنا اتجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة إلى مخلص ومنقذ ينتشلهم من هذه الوهدة ، ويضعهم في المكانة التي أرادوها ، وأطلقوا على هذا المخلص (المسيح المنتظر) ، ووصفوه بأنه رسول السماء ، والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد ، وهو ليس إنسانا عاديا بل هو إنسان سماوي ،وأنه يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله ، وعندما يرسله الله يمنحه قوته ،وهو يحمل لقب (ابن الإنسان) أي أنه سيظهر في صورة الإنسان[1] ، وكلمة المسيح معناها الممسوح بزيت البركة لأنهم كانوا يمسحون به الملوك والأنبياء والكهنة والبطارقة ، وكانوا في مبدأ الأمر يرون المسيح ملكا فاتحا مظفرا من نسل داود ، يسمّونه ابن الله ، ويعتقدون أنه سيجيء ليعيد مجد إسرائيل ، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام التوراة نافذة المفعول ، ولكنهم أحيانا أطلقوا كلمة المسيح على من يعاقب أعداءهم وإن لم يكن من نسل داود ، كما أطلقها (أشعيا) على قورش . ولما طال إنتظارهم للمسيح الفاتح الغازي ، ولم يجيء فكروا أحيانا بأن يجيء المسيح مصلحا إجتماعيا عادلا وديعا .

---

(١) The Jewish World in Timeof Jesus. P.140 واليهودية لأحمد شلبي ص : ١٩٤

(٢٣) وبالغ اليهـود في رسم الصورة التي أرادوهـا للمسيح الـذي كانـوا ينتظرونـه ، فـذكروا أن النـاس في ظله لن يعيشوا وحـدهم في العالم في سـلام وسعادة بـل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات ، فالذئب يسالم الحمل ، والعجل يداعب الأسد ، وهذه بعض فقرات من أشعيا يتحدث فيها عن المسيح المنتظر : يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ، ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا[1] ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه ، التي بقيت من آشور ومن مصر ومن حماة ومن جزائر البحر ، ويرفع راية للأمم ويجمع منفي إسرائيل ، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض .

وكان توقعهم يتجدد كلما نزلت بهم المحن والبـلايا ، ولمـا جاءهم عيسى بن مـريم وأعلن أنه المسيـح الـذي ينتـظره اليهود، رفض الكثـير منهم دعـوتـه وقاوموه ، وألقوا القبض على شبيه له وحكمـوا عليه بالإعـدام ، وظنـــو أنهم قتلوه ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ [2]. ويقول عنه التلمود كما سطروه فيه « إن يسوع الناصري - أي الذي نشر دعوته في بلدة الناصرة - موجود في لجات الجحيم ، بين القار والنار ، وقد أتت به أمه عن طريق الخطيئة .

---

(١) أشعيا ٠ : (٦ - ٧) . والمرجع السابق ص : ١٩٧
(٢) النساء الآية : ١٥٧

أدعياء المسيح المنتظر

(٢٤) ومرت فترات طويلة دون أن يجيء المسيح المنتظر، فانتهز بعض اليهود فرصة هذا الترقب فادعى كل منهم أنه المسيح المنتظر ففي إيران في بلدة شيرين ظهر رجل من اليهود في القرن الثامن الميلادي ادعى أنه المسيح المنتظر ، ووعد بأنه سيحقق معجزة إستعادة فلسطين . وفي نفس القرن ظهر فارسي آخر في بلدة أصفهان اسمه أبو عيسى ، وادعى أنه المسيح ، وقال أن عودة فلسطين لن تتم إلا على أسنة الرماح ، وأعدَّ جيشا لذلك ولما علم به الخليفة العباسي المنصور عاجلة بضربة قاصمة وهزمه ، وفر أبو عيسى تجاه الشمال مدعيا أنه سيتقابل هناك مع أحد قادة اليهود المختفين ليتعاون معه على إستعادة فلسطين ويعيد سيرة (المنتظر) .

(٢٥) وفي القرن السابع عشر ظهر في مدينة سالونيك يهودي اسمه سبتاي زيفي عكف على الصلاة والصوم ، أعلن أنه سيستعيد فلسطين لليهود ، وسيعيد أمجاد صهيون وأنه المسيح المنتظر ، وصار له أتباع في الشرق والغرب ، وتجرأ حتى دخل القسطنطينية عاصمة الخلافة العثمانية ، وهناك ألقى الخليفة القبض عليه ، وسجن فأعلن أحد الربانيين البولنديين اليهود كذب سبتاي ، فأحضر السلطان محمد الرابع سبتاي أمام جمع حافل من أتباعه ثم أعلن السلطان إستعداده ليتحول إلى اليهودية إذا استطاع سبتاي ابن الله ، والمسيح المنقذ كما يدعي ، أن ينقذ نفسه أو يمنع الرصاص من الإنطلاق ، وفي نفس الوقت منح السلطان سبتاي فرصة ليعلن أنه كاذب مدّع ، وأن يدخل في الإسلام إن كان يعرف أنه لن يستطيع إيقاف الرصاص من الإنطلاق ، وسرعان ما اختار سبتاي الإسلام وسمى نفسه محمد أفندي ، وانتهت بذلك هذه الزوبعة التي أثارها ذلك الدعى ، ولا يزال اليهود حتى الآن ينتظرون المسيح[1] .

---

(١) اقتبسناه من (اليهودية للدكتور أحمد شلبي) .

النظرة للآخرة والبعث عند النصارى

(٢٦) يؤمن النصارى باليوم الآخر، والبعث وبالقيامة والحشر والجنة والنار وبالحساب والعقاب ، وبوجود الملائكة والشياطين وأن هناك خير وشر ، كما يؤمنون بقيام الساعة وعلاماتها ، وظهور المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، ويعتبرون ذلك الأساس الثالث في عقيدتهم .

يرى المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن ، وذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته ـ ابن الإنسان أيضا ، فهو أولى بالمحاسبة للإنسان .

ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء ، جلس بجوار الأب على كرسي استعدادا لإستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا . وقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كونثوس « لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع ، خيرا كان أو شرا »[١] .

(٢٧) أورد « ر . وسذرن » موقف أسقف طليطلة (ايولوجيوس) و (بول الفاروس) مؤلف « الإشارات النورانية » من النصارى المعتدلين في القرن التاسع الميلادي فقال : « وكانت أفكار الرجلين متفقة حتى ليمكننا اعتبارهما يصدران عن فكر واحد ، وباختصار فإن كليهما ألهم فكرة أن الحكم الإسلامي إنما هو تهيئة لظهور المسيح الدجال ، وقد وجدا في الكتاب المقدس العلامات والشواهد التي كانا يطلبانها ، حيث لم يكن من الصعب العثور عليها فيه .

وقد كان من الجائز ـ لو كانا في ريب من الأمر ـ أن تنبههما السهولة المتناهية في البحث إلى عمقه ، ولكنهما لم يكونا متشككين أبدا . وتلاهما صف طويل من تابعيهم الموقنين .

(١) قصص الأنبياء الأصحاح الخامس .

وعندما قرأ (الفاروس) الفقرات التالية من « كتاب دانيـال » أدرك ماذا تعني وعرف كيف أنارت الموقف في أيامـه : « الدابـة الرابعـة ستكون المملكـة الـرابعـة عـلى الأرض وهي التي ستكـون مختلفـة عن جميـع الممـالـك وستلتهم الأرض كلها وستدور بها وستحيلها إلى قطع مبعثرة وقرون المملكة العشـرة هم ملوكهـا الذين سيـظهـرون ، وآخـر سيـظهـر بعـدهم ، وسيكـون مختلفـا عن الأولـين ، سيخضع الملوك الثـلاثة . وهـو الذي سيقـول كلمـات كبيـرة ضـد الأعـلى ، وسينهك قـديس الأعلى ، ويفكـر في تغير الـزمن والنواميس » ويعلق على ذلك (سذرن) في محاضراته التي ألقاها في جـامعة « هـارفارد » الأمـريكية فيقـول : المملكة الـرابعة في التفكـير النصـراني التقليـدي هي الإمبـراطـوريـة الرومانية وهي القوة العالمية الرابعة التي تلت الآشورية والفارسية واليـونانيـة ، وأما الآخر الـذي سيظهـر بعدهم هـو الإسلام الـذي بادت أمـام تقدمـه تلك الإمبراطوريات[1] .

(٢٨) وفي منـاقشته لـلأثر الـذي تركـه كل من (ايـولوجيـوس) و(بول الفـاروس) يقول :

بالرغم من أن آراء مشـابهة لتلك التي جـاء بها (يـولوجيـوس) و (بول الفاروس) كانت تظهر مهزوزة الفينة بعد الفينة في عالم الغرب ، فإن ما يبعث على الإستغراب ـ مع السهولة التي يمكن إستمرار هذه الآراء وسوق الأدلـة على صوابها ـ أنها لم تحز أبدا على الرضا العام .

فإن الكارولنجيين المعاصرين لهؤلاء الكتاب الإسبان لم يبد أي ميل نحو السـير في اتجاه تفكيـرهم ، ومع أن شيئـا من المعرفـة اليسيـرة لحيـاة الشهـداء الإسبان أوحى ببعض المناقشات عن المسيح الدجال ونهايـة العالم ، فـإن هؤلاء الباحثين الشماليين تجـاهلوا في مناقشتهم لهـذا الأمر ، دور العـرب المسلمين . ثم يضيف قائلا هنـاك إستثناء واحـد لهذا الحكم يجـدر بنا ذكـره ، لأنه يصـور الفـرق الكبير في المـزاج بين بـاحثي شمال أوروبـا وباحثي إسبـانيا النصـرانية يـومذاك ، وذلـك أن معـاصـرا (لايـولـوجيـوس) و (بـول الفـاروس) هـو

(١) نظرة الغرب إلى الإسلام ص ٤٠

(باسكاسيوس رادبيرتوس) أعلم رجل في زمانه بأرض الشمال، وناقش علامات الساعة في تعليقه المطول على إنجيل متى ، وتعرض لذكر المسيح الدجال وعرض رأيه الأكاديمي الذي يتلخص في القول بأن وجود الإسلام خارج الكنيسة لا يعني بالضرورة أنّ القيامة بعيدة .

(٢٩) * أقول : أنّ سيطرة فكرة الخلاص وإعطاء صكوك الغفران على المسيحيين المعاصرين أبعدتهم عن التفكير بالآخرة وجعلتهم ينغمسون في الدنيا ويسرفون في الخطايا والآثام ، بل نسو وتناسوا أنّ رسالة عيسى عليه السلام جاءت لإصلاح ما أفسده اليهود من البعد عن الله وإنّ أهم ما فيها تطهير النفس والإبتعاد عن الذنوب والحث على العمل الصالح ، والعمل على إشاعة السلام والمحبة بين الناس جميعا وهي رسالة جميع الأنبياء والمرسلين .

النظرة للآخرة والبعث عند المسلمين

(٣٠) إنَّ المسلمين الذين يؤمنون بوجود الله ، ويدركونه بالعقل ، من آياته ومخلوقاته ، في الكون والإنسان والحياة ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١) والإيمان بالله يوجب الإيمان بالرسل، الذين أرسلوا لهداية البشر مؤيدين بالمعجزات الدالة على رسالة كل منهم، فموسى وعيسى وغيرهما من أنبياء الله عليهم السلام جاءوا بمعجزات مادية لعالم زمانهم ، ثم جاء النبي محمد ﷺ ، بعدهم خاتما للأنبياء والمرسلين رسولا للعالم أجمع ، لأنه جاء بمعجزة دائمة لكل البشر وعلى مر العصور وهي القرآن ، فقد تكلم القرآن عن الماضي وأخرس الكفار ، خصوصا أنهم كانوا يسألون رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب، فيجيبهم بالوحي من عند الله عندما ينزل عليه ، وتكلم عن الحاضر فكشف أسرار المنافقين وما يدبره المتآمرون فبهتوا ، وتكلم القرآن عن المستقبل فاندهش أهل العلم والمعرفة كيف لرجل أمي يتكلم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان في أمور اكتشفها العلم الحديث في القرن العشرين ،فآمن العديد من العلماء والمفكرين والمبشرين بعدما عرفوا الحق ، كما آمن السحرة لموسى عندما عرفوا صدق رسالته .

(٣١) أما عن البعث فقد أخبر الله في القرآن الكريم بأن للعالم الحاضر نهاية هي يوم القيامة ، وأن لهذا اليوم علامات تظهر قبله ، منها فساد العالم بالطغيان ، والظلم والعصيان ، والجور والتكبر ونحو ذلك من أنواع الفساد ، وظهور المهدي المنتظر ، وهو رجل صالح من آل بيت الرسول ﷺ يدعو الناس للخير والصلاح ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، وظهور المسيح الدجال وهو رجل ظالم شيطان يغوي الناس ويضلهم . ثم يبعث الله عيسى ابن مريم من جديد

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠٣ .

فيكسر الصليب ويريق الخمر ، ويقتل المسيح الدجال ويحكم بشريعة الإسلام ويدعو لتوحيد الله ، كما دعت جميع الأنبياء، فلا يبقى نصراني على وجه الأرض إلا آمن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا .

والموت حق على كل إنسان يبعث يوم الحشر وهو يوم الحساب ، فيسأل عما فعل في الدنيا ، إن كان خيرا ، دخل الجنة ، وإن كان شرا دخل النار ، وأن كل من أدرك رسالة الإسلام ولم يؤمن بها فهو كافر في النار ، ويعتقد المسلمون أنّ الله يغفر الذنوب جميعا ما عدا الشرك به ، ومنه الإلحاد وهو إنكار وجود الله ، لأن ذلك لازم بالعقل والضرورة لكل عاقل . وأنّ كل من دخل النار غير مشرك بالله نال جزاءه على حسب ما ارتكب من الذنوب في الدنيا ثم يخرج منها إلى الجنة والنعيم ، وأنّ في الجنة من الخلد والنعيم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . نسأل الله أن يجعلنا ممن كتب لهم دخولها ، ومتعنا وإياكم بما في نعيمها، إنه نعم ا لمولى ونعم المجيب .

مجال الدعوة عند اليهود

(٣٢) إن إعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار المفضل على سائر الشعوب والأجناس ، وإعتقادهم بأن (يهوه) إله اليهود الأوحد الذي يعلو على آلهة غيرهم من البشر ، جعلهم يقصرون مجال دعوتهم في اليهود فقط ، فكان ممنوعا على غير اليهود أن يقبلوا في الجماعة اليهودية ، وأن يدينوا بالولاء لرب بني إسرائيل ، وقد كتبوا في توراتهم النص الآتي :ـ

« لا يدخل عموني ولا مؤابي[1] في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، ولا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد »[2] وبطلان النص يكمن في متنه ، فمرة يقول حتى الجيل العاشر ومرة يقول إلى الأبد . فديانتهم ليست دينا عالميا تبشيريا ، ولا إنسانيا عاما ، فالدين دينهم والإله إلههم ، فهي ديانة عنصرية لغرض غير ديني ، وإنما كان الغرض منها دنيويا لقصد توحيد فكر اليهود ، لتثبيت ملكهم والمحافظة عليه .

ويرى اليهود أن عقيدتهم تقوم على أساسين الأول : وحدانية الله ، والثاني : إختيار الله لهم ، وقد بالغوا في هذا الموضوع كثيرا ، ومن قرأ التلمود وبروتوكلات حكماء صهيون يجد أنهم يقولون أن الفرق بين الإنسان والحيوان ، كالفرق بين اليهود وبين باقي البشر[3] قال الحاخام دريس رشي : أن اليهودي لا يخطىء إذا تعدى على عرض أجنبي ، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد ، فالمرأة إن لم تكن من بني إسرائيل اعتبرت بهيمة ، ولا أدري كيف لعاقل أن يتصور ذلك الزواج الذي يعتقدون بأنه قد تم بين الله عز وجل وبين

(١) نسبة إلى مملكتي عمون ومؤآب اللّتين تقعان شرق نهر الأردن .
(٢) تثنية ٢٣ : ٣ .
(٣) الدين المقارن (المسيحية) أحمد عبدالمنعم عبدالسلام الحلواني ص : ٢٤ .

إسـرائيل وبسببه كانـوا شعب الله المختار المفضـل المدلـل ، وهذه المعتقـدات الفاسدة ، والنـزعات البـاطلة ، هي من أهم أسباب الخـلاف بينهم وبين نبي الله عيسى عليه السلام ، كما كان مثل هذا الخلاف قد سبق بينهم وبين العديد من أنبياء الله ، الذين أرسلوا لهدايتهم مثل زكريا ويحيى ، وكان رجال الدين فيهم للمحـافظة عـلى إمتيازاتهم يـرون أنهم فوق الأنبيـاء قدرا وأعـلى منهم شـأنـا ، ولإنكارهم ليوم البعث ، فهم يفضلون الغرض الدنيوي لمصلحة اليهود وحدهم على الغرض الأخروي ، لذلك فهم يصرون على معتقداتهم ولا يؤمنون بالأنبياء الذين جاءوا برسالات عالمية ، ويرد الله عليهم في القرآن الكريم فيقول عز من قائل ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[1] .

وعلى هذا الأساس أباحوا لليهودي أن يفعل ما يشاء من الفحش مع غير اليهودية، ولا يعتبـر عمله زنا إلا إذا كـان مع المؤمنـة أي اليهـوديـة ، أي أنهم يعتبرون غيرهم كفاراوبهائم ، لا يصلحون لدعـوتهم وهدايتهم ، ودخـولهم في دين الله .

(١) سورة المائدة الآية : ١٨ .

الصهيونيـــة

(٣٣) بعد ضربة الرومان لليهود سنة ٧٠ ميلاديـة علي يـد تيطس ، تشتت اليهـود في الأرض، بـأوروبا وآسيـا وغيرها، ولكنهم لجشعهم وعنصريتـــهم ، وطمعهم في الناس وجمع المال من أي طريق كـان ، ولو بمضـرة الآخرين ولم يستـطع اليهود التكيف في المجتمعـات القوميـة الأوروبية ، فكـان من الـطبيعي أن يـذهـل المسيحيـون لهذه المكـاسب السريعـة والأخلاق الـرديئة ، وأن يتنكـروا لليهـود ويناصبوهم العداء ، مما سبب لهم إنتشار اللاسامية وقد كان الإضـطهاد الـذي لاقوه في عدة دول ، منها ألمانيا وأسبانيا ودول البلقان وغيـرها ، فبـرزت لديهم فكـرتان : الأولى فكـرة المخلِّص المسيح المنتـظر وهي فكرة دينيـة ، والثانيـة : فكرة إنشاء حزب يدعو للقوميـة الصهيونيـة وهي فكرة سيـاسية ، وإذ تغلبت الفكرة السياسية ، قرر الإصـلاحيون في مؤتمـرهم المنعقد سنـة ١٩٣٧ في زمن هتلر بأن واجب اليهود جميعا أن يساعدوا في بناء فلسطين كوطن لليهود ،وذلك بمحاولة جعلها ملجأ لليهود والمضطهدين بحسب ، بل مركزا للثقـافة اليهـودية والحياة اليهودية الروحية .

ثم أيدت الملةالمحافظة البرنامج الهيوني وأخذت تدعو له بشدة، رغم أن اليهـود جعلوا الصهيونـة في بادىء الأمـر أمرا ثقـافيا لا سيـاسيا ، كـما جاء في التفسير البريطاني لوعد بلفور في التقرير الأبيض سنة ١٩٣٩[١] فالصهيونية هي الفكرة القومية لليهود في تـأسيس وطن قومي لهم في فلسـطين ، ومهما قيـل من وجود معارضة لها من بعض اليهود الأمريكيين ، أمثال الحاخام المر برجر الذي ألف كتبا ضد الصهيونية ، فلا تزال الأكثرية الساحقة منهم تؤيد دولة إسرائيل وتجمع لها المال وتشد من أزرها ، في كل ما تقوم به من إعتداء آثم ضد العرب بفلسطين ولبنان .

(١) الملل المعاصرة في الدين اليهودي محاضرات ألقاها الدكتور اسماعيل راجي الفاروقي ص ١٢٥ .

مجال الدعوة عند النصارى

(٣٤) إن دعوة نبي الله عيسى عليه السلام كانت في الأصل لبني إسرائيل ، وهداية الضال منهم ، لكن اليهود الذين دخلوا فيها رياء انحرفوا بها ، وجعلوها دعوة عامة لغير اليهود، فاتخذ قادة الدين النصراني من ذلك الأمر وبخاصة المبشرون والمستشرقون عقيدة وقاعدة انطلقوا بها، ولذلك نشطوا في التبشير بها، وصرفوا الأموال الكثيرة من أجلها ، بل لقد سالت الدماء وقامت الحروب ، والنزاعات الطويلة حول هذا المبدأ ، وحين فشلت الحملات العسكرية باسم الدين وانتكست سلطة الكنيسة السياسية ، وبعد عصر النهضة والحضارة الجديدة ، لم تكن الدعوة المسيحية مقبولة بإسلوبها المقدم للناس ، بسبب صعوبة فهم معتقداتها وإنصراف الناس عن الكنيسة والدعاية النصرانية ، ولم يكن لهاالتأثير الكبير في البلاد الشرقية والمسلمة ، فلجأ مخططو الدعوة إلى إسلوب آخر، هو تشكيك الناس في أديانهم ، وجنّد رجال الدين لخدمةالسياسة الغربية ، حيث أوحت الدول الإستعمارية للكنائس بمبادىء جديدة لتضعها ضمن دعوتها . وهذا هو صموئيل زويمر رئيس جمعيات التبشير (اليهودي) يقول في مؤتمر القدس ١٩٣٥ (أيها الأخوان الأبطال والزملاء ممن كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية ، واستعمارها لبلاد الإسلام مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من ا لإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الإستعماري في الممالك الإسلامية وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا ما أهنئكم عليه)[١] .

(١) جذور البلاء للقائد عبد الله التل ٢٧٦ .

(٣٥) وحدثني المرحوم القائد عبدالله التل أنّ أحد رجـال الدين العـاملين في فلسطين أسرّ له بأنّ (زويمر) لما حضرته الوفاة طلب أن تجرى له الطقوس المعتادة حسب الدين اليهودي، وأن يلقنه أحد الحـاخامـات في ساعـاته الأخيـرة ، وأنه خشيـة إنكشـاف الأمر لـدى العامـة ظل الأمـر سرا بـين خواص رجـال الدين فقط ، ودون ذلك في كتابه جذور البلاء[١] .

(١) ص ٢٢٨ .

مجال الدعوة عند المسلمين

(٣٦) الدعوة في الإسلام عامة ، لأن رسالة الإسلام جاءت لجميع البشر ، والرسول محمد ﷺ أرسله الله للناس كافة وفي هـذا يقول الله تعـالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] .

وحمل الدعوة والتبشير بها فرض واجب على كل مسلم لا ينفرد بها رجال الدين أوالعلماء،فليس في الإسلام رجال دين ولا أناس مخصوصون تقع عليهم تبعة نشر الإسلام، فالكل محاسب ومطالب أمام الله وكل ماجاء في القرآن ، هـو خطاب للعالم بأجمعه على مر العصور لا للعرب وحدهم ، وفيما يلي نذكر بعض القواعد التي تتعلق بتسامح الإسلام ودعوته نحو السلام والتعايش الأممي .

وعلى هدى دعوة الإسلام ، وما يدعو له القـرآن الكريم ، ربى الـرسول ﷺ أصحابه ، وبين لهم أن مجتمع المسلمين المؤمنين بالله ، لا يصح أن يتعامل الناس فيه بالكذب، سواء بينهم في معاملتهم مـع بعضهم، أو مع غيـرهم وأن تحلّ المجادلة والمناقشـة حول الـدعوة بـالحجج والبـراهين الـداحضة،وبـالحكمة والموعظة الحسنة محلّ الجهالة والعداوة والبغضاء وقـول الفحش من القول قـال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[2] أي إنتقاء عفيف الكلمات لجميل القول ، فكان ذلك قـاعدة من قـواعد الإسـلام العـظيمةالتي سـار عليها المسلمـون في التعامـل مـع الكفـار ، والتسامـح مـع المخالفين لدين الإسلام .

---

(١) سورة سبأ الآية : ٢٨ .

(٢) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٣٧) فبالرغم من نسخ رسالة الإسلام لمن سبقها من الديانات والشرائع ، وأنّ نبي الإسلام محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فقد أوجب الإسلام الإيمان بجميع الأنبياء والرسل السابقين ، وأنّ ما جاؤوا به في كتبهم حق من عند الله ، وبالرغم من ذلك فقد رتّب الإسلام أحكاما للتعامل مع من أصرَّ أن يبقى على دينه ، فلا يجوز إكراهه على التخلي عن عقيدته والدخول في الإسلام ، بل يجب أن يكون ذلك بالإقناع وعن إقتناع ، قال تعالى ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[١] .

على أن الإسلام لا يكتفي منا بهذا الموقف السلبي ، وهو عدم إكراه الناس فيه ، بل يتقدم بنا إلى الأمام فيرسم لنا خطوات إيجابية تكرم بها الإنسانية في شخص غير المسلمين ، هل ترى أسمى وأنبل من تلك الوصية الذهبية التي يوصينا بها القرآن في معاملةالوثنية ، التي هي أبعد الديانات عن الإسلام فضلا عن الديانات، التي تربطنا بها أواصر الوحي السماوي ، وعبادة الله[٢] .

أقرأ قوله تعالى في سورةالتوبة ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٣] .

(٣٨) ولم يكن الجهاد في الإسلام إلا لصدِّ المهاجمين الذين يقفون حاجزاً ضد الدعوة الإسلامية قال الله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[٤] . ولما فتح الرسول ﷺ مكة ، وأمكنه الله من أعدائه الذين ناصبوا دعوته قال لهم ما تظنون أنّي فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء، ومعاملة الإسلام لمن يدخلون به من أهل الذمة، قامت منذ

(١) البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٢) التعصب والتسامح محمد الغزالي ص ٨٦٠ .

(٣) سورة التوبة الآية: ٦ .

(٤) آل عمران الآية : ٩٩ .

العصر الأول على قاعدة أصيلة ، لم يثر حولها نقاش كمبدأ مشروع ، ولم يضر بتطبيقها على توالي الأزمنة، هذه القاعدة هي (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) .

وقد استقرت الأقليات في الشرق العربي دهورا في ظل هذا المبدأ العادل ، بينما بيدت الأقليات الإسلامية في الغرب لأنها لم تجد مثل هذه المعاملة النبيلة .

وتنفيذا لأمر الله بالعدل والقسط في المعاملة وتطبيقا لقاعدة المساواة في الحقوق والواجبات ، لهم مالنا وعليهم ماعلينا، فقد شغل كثير من أهل الكتاب بعض الوظائف الهامة في الدولة ، لقد كان والي الصعيد في ولاية عبدالعزيز بن مروان سنة (٦٥ ـ ٨٦) هـ قبطيا اسمه بطرس ، وكان حاكم مريوط قبطيا اسمه تاوفاتس ولم ينته القرن الثالث الهجري إلا وقد أسلم أكثر أقباط مصر طواعية ، وإختيارا ، لا قهرا وإجبارا ، فكان المجتمع المصري مجتمعا إسلاميا في جملته[1] ، ويقول السير توماس ارنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) (اكتنف الغموض الأساس الديني الذي يقوم عليه وجود اليعاقبة من حيث هم طائفة لها كيانها ، وعزوا مذهبهم الذي ناضلوا من أجله طويلا ، وقاسوا في سبيله كثيرا في خضم النظريات البالغةالتعقيد ، فتملكهم الشك وغلبهم الإضطراب ، وأجهدهم الجدل العقيم ، فتحول كثير منهم إلى دين جوهره واضح بسيط ، الإيمان بوحدة الله ورسالة النبي محمد عليه السلام .

(٣٩) وإذا كان أهل الذمة قد أجبرو على دفع الجزية ، فلأن الإسلام يمنع إنضمامهم في صفوف الجيوش الإسلامية، فأعفاهم من الخدمة العسكرية للدفاع عن المسلمين ـ ربما كانوا مصدر فتنة ، وخيانة ، قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[2]. والمعنى : يحذرنا الله تعالى من اتخاذ الأصفياء

(١) نظرة الغرب إلى الإسلام لروسدرن ص ١١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٨ .

والأعوان المطلعين على الأسرار مـــن غـير المؤمنـين ، والإعتمـاد عليهـــم في الأمـور الخطيـرة فـإنهم لا يقصـرون في الفسـاد ، ولا يتـركـون فـرصـة إلا انتهـزوها لتـدميركم من الـداخل ، لأنـه يسرهم كـل ضـرر يصيبكم ، إذ أنّ المخفي في الصـدور مما يحـاك من المؤامـرات أعـظم مما يـظهـر بـالمشـاهـدة أو الكـلام ، ودفع الجـزية في سبيـل حمايتهم والحفـاظ على أرواحهم وحـريـاتهم ، وكنائسهم ، وأديرتهم ، وأوقافهم وفي الوقت الذي يدفع فيه المسلم ضريبةالدم في سـاحات القتـال ، ينعم الذميّ بـالسِّلم والعافيـة ، في نظير جـزء يسـير من المال ، وتلك مفازة يتهافت المطلوبون للخدمة العسكرية اليوم للحصـول عليها بدفع البدل مقابل الإعفاء من الخدمة ، فهل بعد هذا عدالـة وتسامـح ؟ وهل تـرى أعدل وأرحم ، وأحرص على وحـدة الأمة وتمـاسكها من تلك القـاعدة الإسلامية، التي لا تكتفي بأن تكفل لغـير المسلمين في بـلاد الإسلام ، حـرية عقائدهم وعوائدهم ، وحماية أشخاصهم ، وأموالهم ، وأغراضهم بل تمنحهم من الحـرية والحمـاية ، ومن العـدل والرحمـة قدر مـا تمنحـه للمسلمـين من حقوق (لهم مالنا وعليهم ما علينا) . وهل هناك أوضح نص ، وأبلغ بيان في تحقيق السلام الدولي ، والتعايش السلمي بين الأمم والشعـوب من قولـه تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[1] . وقوله تعـالى ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾[2] .

(١) سورةالأنفال الآية : ٦١ .

(٢)، سورة النساء الآية : ٩٠ .

رجال الدين عند اليهود

(٤٠) يأتي بعد الأنبياء رجال الدين ويسمّون الكهنة ، ولا بد أن ينحدروا من سبط معين من أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام ، ولهم وحدهم حق تفسير النصوص ، وعلى أيديهم تقدم القرابين ، ويعتبرون أنفسهم الوسيلة أو الواسطة بين البشر وبين الله ، ولهم مجلس يضم كبار الكهنة يسمى المجمع يدير شئون اليهود ، ويعتقدون أن هذا المجمع هو امتداد لمجلس السبعين رجلا الذين اختارهم موسى عليه السلام ، ليقدموا التوبة عن المذنبين من عبدة العجل بعد الخروج ، وسلطان هذا المجمع الأدبي يمتد إلى حيث يقيم اليهود ، وينظر في المسائل الهامة ، وهو الذي قضى بإنكار نبوة عيسى والحكم عليه بواسطة الوالي الروماني ، وامتد سلطانهم علاوة على المسائل الدينية إلى المسائل السياسية ، وكان اليهود في حقبة من تاريخهم يقدمون القرابين للآلهة من الحيوان والإنسان وفي معابد كثيرة ، وبعد بناء الهيكل ووضع التابوت فيه ، أصبح لهم معبد واحد يضم مجموعة واحدة من الكهنة واكتفى إلههم يهوه بجزء من ا لإنسان هو حشفة الختان ، ويعد المؤرخون ذلك تطورا في الفكر الديني اليهودي . وهكذا وضع الكهنة أنفسهم واسطة بين الناس وبين الله ، فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين إلا إذا باركها الكاهن ، كأن مفتاح الجنة في يده ، وهذا التصرف من أهم المسائل التي جاء المسيح لمحاربتها ، ولكن اليهود الذين اندسوا في النصرانية أو قل هندسوها حيث قام القسس والرهبان في النصرانية يمثلون نفس الدور الذي مثله الكهنة اليهود من قبل .

ويطلق على رجال الدين عندهم الأحبار والكهنة والحاخامات .

(٤١) ويعتقد الفريسيون بأن للحاخامات سلطة عليا ، وأنّ أقوالهم صادرةعن الله ، وأن مخافتهم هي مخافة الله ، ويرون أنّ الحاخامات معصومون عن الخطأ . ومن قولهم في ذلك « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة لأن أقوالهم هي قول الله الحي » .

رجال الدين في النصرانية

(٤٢) يعتقد النصارى ـ كما صور لهم رجال الدين أنفسهم ـ أن رجال الدين هم واسطة بين الله والخلق ، وأن الإتصال بالله عز وجل لابد أن يتم عن طريقهم ، وما هم في الواقع إلا بشر ممن خلق ، وهذا الإعتقاد جرهم إلى أكبر من هذا فقد جعلوا للبابا المعين من قبل مجمع الأباطرة سلطات على جميع النصارى وسلطاناً فوق سلطان الملوك . وكان المسيح كما يعتقدون قد أقام بطرس الرسول خليفة له ليرأس الحواريين ، ويدير شئونهم ، وقد أنشأ بطرس كنيسة روما ، والبابا خليفة بطرس في رياسة هذه الكنيسة ، وفي إدارة شئونهم ، فالبابا على هذا خليفة للمسيح له سلطاته ومكانته . وقد باشر رجال الدين هذه السلطات بكثير من التوسع ، بل انزلقوا أحيانا ، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران ، ويصدرون قرارات الحرمان، حتى على الملوك والعظماء ، وأصبحت الكنيسة بذلك هي التي تفهم الكتاب المقدس ، وهي التي تصدر القرارات بناء على هذا الفهم ، وبناء على العلم الذي لم يدون والذي يزعمون أنهم يتوارثونه ، ولا معقب لما تقول الكنيسة ، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول ، سواء وافق العقل أو خالفه ، وعلى النصراني إذا لم يستسغ عقله قولا أو رأيا للكنيسة أو مبدأ دينيا جديدا أعلنته الكنيسة ، أن يروض عقله على قبوله ، فإن لم يستطع فعليه أن يشك في العقل ولا يشك في قول أو رأي أومبدأ البابا[1] .

(٤٣) ومما ابتدعته الكنيسة في هذا الصدد مسألة (الإستحالة) .

وهي إعتقاد النصارى أنهم حينما يأكلون الخبز ويشربون الخمر يوم الفصح وهو المسمّى عندهم بالعشاء الرباني، يستحيل الخبز إلى لحم عيسى

---

(١) الشيخ أبو زهرة محاضرات في النصرانية ص ١٦٨

وتستحيـل الخمرة إلى دم عيسى عليـه السلام كـذلك ، فمن أكل ذلـك الخبـز وشـرب تلك الخمرة في ذلـك اليوم فقـد أدخل المسيـح في جـوفـه وامتـزج بـه وبتعاليمه (١) .

(٤٤) **ومسألة أخرى هي (غفران الذنوب)**

فإذا أراد البابـا أن يبني مدرسـةأو كنيسة أو يجمـع مالا لشيء مـا ، طبع صكـوك الغفران ووزعهـا على أتبـاعه ليبيعـوها للنـاس كالـذين يبيعـون أسهم الشـركات أو أوراق اليـانصيب ، وبالصـك فراغ تـرك ليكتب بـه اسم الـذي سيغفر ذنبه ، والعجيب أن هذا الصَّك يغفر لمشتريه ما تقـدم من الذنـوب وما تأخر ، فهو بعبارةأخرى إذن بارتكـاب كل الجـرائم بعد أن ضمنت الجنـة لهذا المحظوظ ، وفيمايلي نص لصك غفران :

« ربنـا يسوع المسيـح يرحمـك يا . . . . . . (يكتب اسم الـذي سيغفـر لـه) ، ويحلك باستحقـاقات آلامـه الكلية القـدسية ، وأنا بالسلطان الرسولـي المعـطى لي أحلك من جميع القصـاصات والأحكام والـطائـلات الكنسيـة التي استوجبتها ، و أيضا من جميع الإفـراط والخطايـا والذنـوب. التي ارتكبتها مهـما كانت عظيمة وفظيعة ، ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابـا ، والكرسي الكرسولي ، وأمحو جميع أقذار الذنب وكل علامات الملامة التي ربمـا جلبتهـا على نفسـك في هذه الفـرصة ، وأرفـع القصـاصـات التي كنت تلتـزم بمكابدتها في المطهر ، وأردك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقرنـك في شـركة القـديسـين ، أردك ثـانيـة إلى الـطهـارة والبـر اللذين كـانـا لـك عنـد معموديتك ، حتى أنـه في ساعـة الموت يغلق أمـامك البـاب الذي يـدخل منـه الخطات إلى محل العـذاب والعقاب ، ويفتـح البـاب الـذي يؤدي إلى فـردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمـة تبقى غير متغيـرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة ، باسم الأب والابن والروح القدس » ذلك هو الوضع الـذي آلت له حينذاك مسـألة غفـران الذنــوب ، فقد كـان جمع المـال في أول الأمر وسيلة للإعفاء من الإشتـراك في الحروب الصليبيـة ، ثم أصبح وسيلة لغفـران الذنوب ما مضى منها وما هو آت ، دون حاجة إلى توبة أو رد ظلامة .

(١) متى ولوقا ومرقس (الأناجيل) .

(٤٥) ورجال الدين في النصرانية منقطعون للكنيسة ، ولا عمل لهم سواها ، وكل منهم يدعى (بريس) أي قسيس أو رجل دين وكبيرهم يسمى أسقف أو مطران ، ثم مرتبة عالية هي مرتبة بطريك أو بطريق وهم رؤساء الأساقفة في المدن الرئيسية ويسمى كردينال . وقبل القرن الحادي عشر حمل من بين الأساقفة رئيس كنيسة روما لقب بابا ، ثم لما قوي سلطانه أصبح رئيسا لجميع الكنائس واعتبر نفسه حاكما لجميع النصارى في كل البقاع . وإن مكانته أسمى من جميع مكانة الملوك والأباطرة ، وأنَّ البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة ، وأنه المشرع ، والمفسر النهائي للكتاب المقدس ، وأنه مالك مفتاح الرحمة ، وباب السماء ، وجَبَت الكنيسة الضرائب وسيطرت على ما أمكنها السيطرة عليه ، وأصبحت الكنيسة تمثل الترف والغنى بما جمعت من مال . حتى تم الإنفصال بين الكنيسة الشرقية والغربية ، ثم تلاه انفصال البروتستانت عن الكاثوليك .

مفهوم رجال الدين في الإسلام

(٤٦) ليس في لإسلام رجال دين بالمعنى الذي يفهمه الغرب أو غيرهم من الملل الشرقية ، وإنما هم علماء مدرسون يتفاوتون بالإحترام بقدر ما يحمل كل واحد منهم من العلم لتلاميذه ، وأكثرهم منفعة لهم ، لا بالدرجات ولا بالمناصب ، وإن أكثر الناس تواضعا في الإسلام هم العلماء .

والدين الإسلامي ليس فيه رهبانية ولا كهنوت ، ولا إمتيازات لرجال الدين ، بل إنّ الإسلام يعتبر كل مسلم رجل دين يترتب عليه في حمل الدعوة والتبشير لها وتعليم غيره بقدر ما تعلم ودرس ، وإذا حضرت الصلاة يصلي الناس في أي مكان طاهر ، حتى ولو كان كنيسة ويتقدمهم أي واحد من الحاضرين ، وليس بالضرورة أن يكون إمام المسجد الراتب أعلم من في المسجد ، بل تجد كبار العلماء يصلون خلف المؤذن أحيانا، في غيبةالإمام وقد يكون الإمام نفسه رجلا عاديا ، يعرف قراءة القرآن وشيئا من الفقه والحديث ، ولا مفهوم لفصل الدين عن الدولة ، ولا الروح عن المادة والحياة ، فالعالم (رجل الدين) إذا لم يعمل مات جوعا ، وإذا استعرضنا التاريخ فإننا نجد العلماء الأفذاذ الذين خلفّوا لنا التراث الإسلامي من الفقه والتفسير والحديث وفنون العلوم الأخرى ، كان لكل واحد منهم مهنة يعيش منها ، فيقال الشيخ فلان الفاكهاني ، والشيخ فلان اللّحام ، والشيخ فلان الفحّام ، ولا يوجد وساطة في الإسلام بين الله وبين الخلق ، فالكل متساوون أمام الله ، وكل يدعوه متضرعا خاشعا طالبا منه الرحمة والمغفرة ، فلا حا جة لمن يدلك على خالقك (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، وإن لم تكن تشعر به فهو قريب منك (وهو معكم أين ما كنتم) يراقب أعمالكم ويحاسبكم بها ، وحتى الأنبياء لا يتوسطون لأحد في الدنيا ولا في الآخرة ، وإنما هم شهداء على الناس عند الله ، يبلغون رسالات ربهم ، ولا يملكون إلا الدعاء (إلا من أذن

له الرجحان وقال صوابا) ، وفهم الكتب الدينية وخاصة القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ (السنة) لا تتوقف على رجال دين بل لكل إنسان إذا أوتي حظاً من العلم أن يقرأ ويفهم ، وله أن يسأل ويتعلم ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ واتخاذ بعض العلماء زيا خاصا لا يعبر عن رأي الإسلام وإنما هو شيء مستحدث .

وقد كان خطباء المساجد في العصور الإسلامية الأولى هم الخلفاء أنفسهم ، إقتداء برسول الله ﷺ .

(٤٧) والحكم في الإسلام لله ورسوله وما العلماء إلا شارحون ومفسرون ومجتهدون فيما لا نصّ فيه ، وهو على عكس ما في المسيحية ، من إصدار الآراء والقرارات عن الكنيسة ، على إعتبار أن البابا ومن ينوب عنه لهم العصمة من دون الناس فهم نواب الله في الأرض ، وعنهم يصدر التشريع الإلهي . وهذا هو سبب الخلاف الكبير عندهم والفجوة التي تزداد على مر العصور بينهم وبين المفكرين من العقلاء من الناس .

وليس في الإسلام ألقاب ولا مراتب للعلماء ، ويسمى العالم شيخا فيقال الشيخ فلان ، وهذه التسمية أطلقت على العلماء نظرا لكبر سنهم . أما عدا ذلك من الألقاب فهي ألقاب يطلقها التلاميذ على أساتذتهم إحتراما ، وتوقيرا لهم ، ولعلمهم لتفوقهم ، مثل الإمام والعلامة وشيخ الإسلام وحجة الإسلام .

الشعائر والعبادات عند اليهود

(٤٨) يعتقد اليهود بأن الإنسان يرتكب ذنوبا في الدنيا ، وأنه لابد له من تطهير نفسه فيها ، وأنّ الوسيلة إلى ذلك هي بالدعاء وهو الصلاة على يد الكهنة ، وتقديم الهبات والقرابين، والإعتراف بالخطيئة، ويعتبرون أن الحيض والنفاس كالخطيئة يدنسان المرأة ، يتطلبان تطهيرا ذا مراسم وتقاليد وتضحيةوصلاة على يد كاهن ، وفي سفر العدد أنّ الكاهن يوقف المرأة أمام الرب، ويأخذ ماء مقدسا في إناء خزف ، ويتلوا عليه ترانيم وأدعية ، ويطلب منها الإعتراف ، فإن رفضت سقاها الماء ، ويسمى ماء اللعنة وهددها بأنّ هذا الماء إذا دخل أحشائها وهي مذنبة لم تعترف ورم بطنها وسقط فخذها ، وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهّرها بالقرابين والهبات التي تقدمها ، وعليه هو الأدعية فقط[1] .

(٤٩) الختان : الختان عند اليهود فريضة يحتّمها الولاء للجنس ، والأصل في ذلك أنهم كانوا يقدمون القرابين للآلهة ومن بينها الإنسان ، كما كان المصريون القدماء يقدمون إمرأة قربانا لوفاء النيل ، ثم اكتفى إلههم بحشفة الختان ، وصار الختان بعد ذلك أحد الشعائر اللازمة لهم ، وليميزوا عن غيرهم من النصارى .

(٥٠) الأعياد : تكثر الأعياد عند اليهود ، ويهتمون بها فمنها : عيد الفصح : وهو يوم ذكرى خروج بني إسرائيل من مصر ، ومن العبودية التي كانوا عليها لدى الفراعنة ، ولسرعة خروجهم بقيادة الرّب لم يكن لهم الوقت لإعداد الخبز كالعادة ، وإنما أعدوه فطيرا دون أن يختمر ، ويكون في الإسبوع الثالث من شهر (نيسان)[2] يكون طعام اليهود خبزا غير مختمر ، ويبدأ اليوم الأول بحفل مقدس ويختتم بمثله تتلى خلالها أدعية وتقام صلاة وتحرق القرابين .

---

(١) الأصحاح الخامس : الفقرة ١١ وما يليها .
(٢) خروج ٣١ : ١٤ ـ ١٧ .

وعندهم يوم رؤية الهلال الذي يتسابقون على رؤيته ويحتلفون بطلوعه ، وينفخ في الأبواق وتشعل النيران .

(٥١) يوم السبت : هو من الأيام المقدسة عندهم ، التي تجب مراعاة حرمتها ، فلا يجوز الإشتغال فيه ، ومن اشتغل فقد خالف حرمةهذا اليوم ودنّسه فيكون قد ارتكب ذنبا ، لأنه يوم راحةالرب ، أي أنّ الله عمل ستة أيام في خلق الكون ثم تعب واستراح في هذااليوم ، وهم يكتبون ذلك في أسفار موسى وغيرها ومما جاء في الكتاب المقدس « تحفظوا السبت لأنه مقدس لكم ، من دنسه يقتل قتلا ، انّ كل من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها .

« ستة أيام يصنع عمل ، أما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب ، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع استراح وتنفس »[1] . لكن القرآن يشير إلى غير ذلك في مفهوم الأيام فيقول الله ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2] وبذلك لا يكون تعارض فيما يقول به العلم في العصر الحديث .

(٥٢) يوم التكفير : أو يوم الغفران كما يسمّونه ، هو يوم في العام يحاول فيه اليهودي أن يعبد الله ، لا كإنسان بل كملاك ، والملاك لا يأكل ولا يشرب ، ويمضي وقته كله في العبادة وتعظيم الله ، فعلى اليهودي أن يعيش هذا اليوم كما تعيش الملائكة في صوم حاد ، وعبادة دائمة ، وهذا اليوم يسبق بتسعة أيام تسمى « أيام التوبة ، حيث يطّهر اليهودي خلالها تطهيرا يكفل له النقاء خلال العام القادم ، وفي اليوم العاشر يوم الصوّم والعبادة تكمل طهارة اليهود وتغفر لهم سيئاتهم عن الماضي ،ويعودون لاستقبال عام جديد ، وتقع هذه الأيام في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية .

(٥٣) الصلاة : في الأيام العاديةهي ثلاث ، صلاة الصباح وصلاة العصر وصلاةالمساء ، ففي أيام السبوت ، وفي رؤوس الأشهر القمرية وأيام الأعياد ،

---

(١) ول ديورانت قصةالحضارة جـ ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) سورة الحج الآية : ٤٧ .

تقام صلاة صباحية إضافية تعرف بصلاة « مصاف » وتقام في يوم عيد الغفران صلاة ختامية إضافية يطلق عليها « نيلاح » . وعلاوة على هذه الصلوات تقام صلاة يوميا عند منتصف الليل من ١٧ تموز إلى ٩ آب (عبري) .

إنّ جميع هذه الصلوات يجب ، أن تؤدى جماعة إلا إنه يسمح للأفراد بإقامتها في ظروف مخصوصة وعند عدم إلتئام عقد الجماعة . وهنالك بعض أقسام من الصلاة لا يمكن تأديتها إلا عند وجود الجماعة . هذه هي الحالة فيما يختص بتلاوة التوراة في صلاة الصباح أيام الإثنين والخميس والسبت ، ورؤوس الأشهر القمرية ، وعيد الفصح ، والعنصرة ، وعيد المظال ويومي رأس السنة اليهودية ، ويوم عيد الغفران ، والخانوكا ، والبوريم ويوم ٩ آب وبعض أيام الصوم . أما في أيام السبت ويوم عيد الغفران وبعض أيام الصوم فتقرأ أسفار التوراة في أثناء صلاة العصر أيضا . وفي معظم هذه الأيام والأعياد تقرأ أسفار الأنبياء أيضا .

ويقرأ أحد « الأسفار الخمسة » كل يوم من أيام الأعياد الخمسة المعينة .

وتتلى في بعض فصول السنة صلوات للتكفير عن الذنوب والخطايا . كما تقام أيضا صلوات مخصوصة من قبل الحاخامين للشفاعة عن الجمهور أو الأفراد وذلك عند وقوع مصائب ونكبات عمومية ، كالطاعون أو الجفاف الخ . ويقيم الأفراد أيضا صلوات مخصوصة عند وقوع المصائب عليهم . ومن المعتاد في مثل هذه الظروف تلاوة بعض إصحاحات من الكتاب المقدس .

أما ترتيب الصلاة التي تقام عند الحائط فهو نفس الترتيب المتبع في الكنيس . وتقام عند الحائط أيضا شعائر دينية وصلوات مخصوصة من قبل الجماعات بالنيابة عن الذين في إحتياج إلى الرحمة الإلهية . كما أنه قد جرت العادة عند المصلين المداومين في كنائس معينة أن يذهبوا إلى الحائط من وقت إلى آخر في مساء أيام الجمعة أو أيام السبت أو الأعياد ، ويقيموا الصلاة هناك بوساطة مرشد (خزان) مخصوص لكل فئة من المصلين .

إنّ الصلوات التي تقام لإستقبال السبت هي صلاة العصر العادية ،

وصلاة دخول السبت وصلاة المساء ، والمصلون يأتون عادة إلى الحائط بدون دعوة مخصوصة أو أمر بل بمطلق إرادتهم . إلا أنه عند وقوع حاجة أو مصيبة أو نكبة عمومية يعلن الحاخامون عن إقامة صلاة عمومية عند الحائط .

ومن العقائد اليهودية ، أنه لا يمين لليهودي بالنسبة للمسيحي أو الأجنبي إذا استطاع أن ينكرها ، وله أن ينافق فيها ، وله أن يأكل أموال المسيحي والأمي (أي العربي) كما يشاء إذا قدر على ذلك ، وتبرأ ذمته أمام الله إن فعل ذلك ، وله حسن الثواب ، ولليهود أعياد الفطيرة يحبون فيها أن يأكلوا الفطير بدم أطفال الشعوب الأخرى ، ويسرقون الأطفال ويذبحونهم ويعجنون الفطائر بدمهم[1] .

(٥٤) الهيكل : أن نبي الله داود أوصى بني إسرائيل بأن ابنه سليمان سوف يبني بيت قرار لتابوت عهد الرب ، ولموطىء قدمي إلـهنا، ويحثهم آن يباركوا الرب إلههم ، وأن يسهموا بما يستطيعون من مال ، ثم بعد ذلك قام سليمان ببناء هذا الهيكل من الحجارة وهو يحوي عدة غرف .

ويقول ول ديورانت : إن طراز الهيكل من الطراز الذي أخذه الفينيقيون عن مصر ، وأضافوا إليه ما أخذوه عن الآشوريين والبابليين من ضروب التزيين ، ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح ، بل كان سياجا مربعا يضم عدة أجنحة ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم ، فقد كان طوله حوالي مائة وأربعة وعشرين قدما ، وعرضه حوالي خمسة وخمسين وإرتفاعه حوالي اثنين وخمسين ويعدّ بناء الهيكل كما يقول (ول) أهم الأحداث لدى اليهود فإنه لم يكن بيتا لألههم (يهوه) فحسب ، بل كان أيضا مركزا روحيا لهم ، وعاصمة لملكهم ، ووسيلة لنقل تراثهم ، وذكرى لهم ، يتراءى طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض ، ولقد كان له فوق ذلك شأن في رفع الدين اليهودي وتطويره من دين متعدد الآلهة إلى عقيدة موحدة راسخة غير متسامحة مع الأديان الأخرى .

---

(١) مقارنة الأديان (المسيحية) أحمد عبد المنعم عبدالسلام الحلواني ص ٢٤ .

(٥٥) **قصة حائط المبكى** : تهدم الهيكل الذي يدعون أنه بيت الرب أربع مرات ، الأولى بيد الآشوريين حوالي ستمائة سنة قبل الميلاد، والثانية بيد نبوخذ نصر سنة ٥٨٧ قبل الميلاد والثالثة على يد المكدونيين سنة ٣٢٢ قبل الميلاد وآخرها سنة ٧٠ بعد الميلاد،على يد قيصر الرومانيين طيطس،كما دمر المدينة بأسرها معه ولم يبق من الهيكل سوى قسم صغير هو الآن جزء لا يتجزأ من أساس الحائط الغربي للمسجد الأقصى القائم في موقع الهيكل اليهودي القديم ويطلق عليه باللغة العربيةالبراق ، وفي سنة ١١٩٣ للميلاد أوقف الملك الأفضل بن صلاح الدين مساحة من الأرض تجاه الحائط على جهات البر والخير حسب الشرع الإسلامي ، ثم أوقفت البيوت التي حول جدار المسجد الأقصى على الزوار المغاربة، وصارت تلك الأماكن تعرف بمحلة المغاربة يمرون في البراق في ذهابهم إلى الصلاة بالمسجد .

وحسبما تروي التقاليد (التلمود البابلي - سفر مكوث ٦٤) اعتاد اليهود بعد خراب الهيكل الثاني الذهاب إلى أطلال هيكلهم المقدس والبكاء عندها .

وقد جعل الامبراطور ادريانوس(سنة ١١٧ - ١٣٨)بعد الميلاد مدينة القدس مستعمرة رومانيةأطلق عليها اسم العاصمة إلياء ، وحظر على اليهود دخول القدس ، ومن هنا يبدأ تشتت اليهود في جميع أقطار العالم،وفي الإستطاعة القول أنه منذ ذلك الحين لم تكن تقيم في فلسطين أمة يهودية ، مع أنه رغما عن ذلك كان يقطن البلاد بعض اليهود ، يختلف عددهم بالكثرة والقلة بإختلاف درجة التسامح التي كان يبديها نحوهم من تعاقب على البلاد من الحكام ، وجاء في كتاب آباء الدومنيكان أن اليهود ، حتى بعد أن حظر عليهم دخول البلاد ، نجحوا في المجيء إلى القدس مرة في السنة على الأقل . ويلوح أن مكان نواح اليهود كان في ذلك الزمن على جبل الزيتون ، حيث كان يستطيع المصلون مشاهدة أطلال الهيكل عن بعد .

(٥٦) وبعد تفكك عرى الإمبراطورية الرومانيةخضعت فلسطين لقياصرة البيزنطيين ، حتى دخلها العرب الفاتحون ، فجعل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة القدس عاصمة فلسطين ،ثم أقاموا المباني الإسلامية المقدسة على جبل

موريا المهجور الذي كان لا يزال مطلا على المدينة ، وفي القرن السابع بني في القسم الجنوبي الغربي، المسجد الأقصى ، وهو مسجد ذو قدسية خاصة للمسلمين لكونه ثالث الحرمين ، بعد مكة والمدينة . وتشد إليه الرحال للزيارة ، وقد أقيم في وسط جبل موريا مسجد قبة الصخرة ، وهذا العهد يرجع مبدأه إلى ما قبل أربعة عشر قرنا ، ولسنا بصدد سرد تاريخ للموضوع ولكن الذي يهمنا فيه هو موضوع إتخاذهم البكاء والنواح ديانة وعبادة يتقربون فيها إلى الله . تستند هذه العادة ـ الذهاب إلى الحائط للنواح ـ إلى فكرة أساسية منشأها الديانة اليهودية ، كما ورد في سفر الملوك الأول (الأصحاح الثامن ـ العدد ١١) هي أن الحضور الإلهي يملأ هيكل الملك سليمان ـ أي أن روح يهوه موجودة في الهيكل ـ وهذا ما جاء في ذلك الأصحاح « لأنَّ مجد الرب ملأ بيت الرب »[1] وقد تكرر ذهاب اليهود لحائط المبكى بعد ذلك في كل مناسبة دينية ، وإزدادت تضرعاتهم ، وإن الأتقياء منهم في الماضي كانوا يقربون من الحائط ويلمسونه بجباههم ، ويبللونه بدموعهم ، ويضعون في شقوق الحجارة أحيانا قصاصات من الورق تتضمن إسترحامات وتمنيات دينية . غير أنهم أخذوا بعد ذلك يقرأون أو يتلون بعض المزامير ، وقطعاً من أسفار موسى أو الصلاة عند الحائط . ثم أخذت الصلاة بعدئذ تتخذ صيغة دينية حقيقية تتطلب استعمال بعض الأدوات التي تستعمل في أثناء الصلاة في الكنيس .

(٥٧) التابوت : التابوت هو الصندوق الذي وضعت فيه ألواح موسى وما تركه موسى وهارون بقية من نعال وعصيا ونحوه ويعتقد اليهود أن التابوت صنع بأمر الله حيث أعطى الله لموسى أوصافه ، بأن يصنع من خشب السنط ، ويغشى بذهب نقي سطحه وحيطانه ، وله أربع حلقات يوضع فيها عصوان لحمل التابوت بواسطتها كما يعتقدون أن موسى عليه السلام لما صنعه سماه تابوت العهد ، وقال لبني اسرائيل لا يسمح لأحد أن يمسه ، وإنما كان يحمل من العصوين فقط ، وأن من يمسه يموت .

(١) تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عام ١٩٣٠ .

ويـزعمون أن نبي الله سليمـان عليه السـلام لما أتم بنـاء الهيكل وضعـه فيه . ولما تخـرب الهيكل وهـدم وزالت معالمـه ولم يعرف مكـانه بفعـل الحروب والعوامل الجوية . احتفظ بنو إسرائيل بالتـابوت ومـا فيه من الكنـوز من ذهب وفضة ، يتناقله جيل بعد جيل على ما يزعمون والله أعلم بالحقيقة .

أقول : وليس لهذا التابوت الصندوق أي معنى روحي أو تقديس ديني بعد أن فقد الصلة بالأنبياء والمرسلين ، فقد جعله الله مباركا وقت أن جعل فيه السكينة لكونه آية الله في الحرب لصموئيل وداود، وهذه السكينـة لدى الجنـد في الجهـاد هي تقويـة الروح المعنـوية والثبـات عند رؤيـة الصندوق الـذي يحمـل بداخله كتاب الله وعصا موسى وبعض ما ترك موسى وهارون من أشياء ، وقد شرح الله ذلك في القرآن الكريم بسورة البقرة الآية (٢٤٨) .

الشعائر والعبادات عند النصارى

(٥٨) التعميد : هو رش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء ، وغالبا ما يغمس الشخص كله بالماء ، ولابد أن يقوم بهذه العملية كاهن يعمّد الإنسان باسم الاب والابن وروح القدس، ولا يقوم به غير الكهنة إلا للضرورة وحينئذ يسمى « تعميد الضرورة » ولا تجيز الكنيسة القبطية التعميد بالرش إلا للضرورة ، وتلزم أن يكون بالتغطيس وأن يكون ثلاث مرات ويعتبرونها فريضة مقدسة لتطهير النفس من أدران الخطيئة هي ختم النعمة مثلما يعدّ الختان عند اليهود ، بينما الإسلام يعدها سنة للنظافة والصحة .

ويقول النصارى إنَّ نبي الله يحيى عليه السلام كان يعمّد الناس في نهر الأردن ، وهو الذي قام بتعميد المسيح عليه السلام ولذلك سمي (يوحنا المعمدان) ويعتبر النصارى التعميد من أسرار الكنيسة السبعة .

(٥٩) الأعياد : يهتم النصارى بأعياد ميلاد المسيح عليه السلام ، وهي ما تسمى بالكرسمس بضعة أيام قبل رأس السنة الميلادية ، ويكثر فيها الفسق والفجور وأكل المحرمات وشرب الخمور .

(٦٠) العشاء الرباني : يوم الفصح ويرمز به إلى عشاء عيسى عليه السلام الأخير مع تلاميذه ، إذْ اقتسم معهم الخبز والنبيذ ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه ، ويستعمل في العشاء الرباني قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما فعل بالمسيح ليلة النهاية يوم الفصح وكذلك ليكون طعاما روحيا للنصارى[١] ، فمن أكل هذا الخبز وشرب هذه الخمرة استحال الخبز في بدنه إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه ، فيحصل إمتزاج

(١) يبدو لي أنّ ما يقصدون به عشاء المسيح الأخير مع أصحابه هو ما أشار إليه القرآن الكريم بالمائدة الآية : ١١٢ .

بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه[1] فمن أكل ذلك الخبز وشرب تلك الخمر يوم الفصح وهو المسمّى عندهم بالعشاء الرباني (الإستحالة) فقد أدخل المسيح في جوفه وامتزج به وبتعاليمه . برأ الله عيسى مما يقولون ويفترون .

(٦١) الإعتراف : إذا اعترف المسيحي في الكنيسة أمام القسيس ولو مرة في العمر غفر له ما فعل من الذنوب بمجرد رضا الكنيسة أو الحاضر عنها . باعتباره نائبا عن الله عز وجل ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فإنه لا يغفر الذنوب إلا الله .

ومن الشعائر السبعة كذلك حضور القسيس عند الزواج ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة ، وكذلك حضوره عند الموت ، ليمسح المريض المشرف على الموت بالزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصُّلب والأقدام ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾[2]

(٦٢) الصوم : هو الإمتناع عندهم عن الطعام من الصباح حتى منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم ، هو صوم إختياري لا واجب، فمن شاء صام ومن لم يشأ لم يصم ، ويشمل صوم الأربعاء ، وهو يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على عيسى كما يزعمون، ويوم الجمعة لأن المسيح صلب فيه على حد زعمهم ، وصوم يوم الميلاد ، وعدد أيامه ٤٢ يوما تنتهي بعيد الميلاد ، والصوم المقدس وعدد أيامه خمس وخمسون ، هي عبارة عن الأربعين يوما التي صامها المسيح مضافا إليها أسبوعا الاستعداد والآلام ، ويمتنع في هذا الصوم أكل حيوان أو ما يتولد منه ، أو ما يستخرج من أصله وصوم الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص ما بين ١٥ إلى ٤٩ يوما ، وصوم العذراء ومدته خمسة عشر يوما ، وصوم أهل نينوى ومدته ثلاثة أيام ويبدأ يوم الإثنين .

---

(١) وحدة الدين الفلسفة والعلم للسيد أبو الفيض ص ١٣٢
(٢) سورة النجم الاية : ٣٩

(٦٣) الصلاة : سبع في اليوم والليلة : صلاة البكور وصلاة الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشرة والثانية عشرة ومنتصف الليل . وصلاتهم أدعية ومما يقولون : (أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، لتأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء. كذلك على الأرض ، خبزنا كفانا أعطنا كل يوم ، واغفر لنا خطايانا ، لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا ، ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشر) .

(٦٤) الصليب : يقول النصارى إنهم يحملون الصليب رمزا تذكرهم بالتضحية الضخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر ، وينسبون قولا للمسيح عليه السلام ، قبل الصلّب المزعوم أنه قال « إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني »(١) وهو قول يدعو إلى العجب والسخرية أن يقول المسيح ذلك ، فالمعروف عن الرومان أنهم كانوا يجعلون حمل الصليب دليلا على صدور الحكم بالإعدام صلبا ، ومعنى حمل الصليب على هذه الصورة الاستهانة بالحياة ، والإستعداد للموت في أبشع صورة .

(١) المرجع السابق

نظام الأسرة عند اليهود

(٦٥) الزواج فرض لازم على كل إسرائيلي ، والسن المفروضة لصحة الزواج هي الثالثة عشر للرجل ، والثانية عشرة للمرأة ومن بلغ العشرين ولم يتزوج استحق اللعنة ، ويشترطون إتحاد الدين والمذهب ، والمرأة المتوفى زوجها إذا لم يترك أولاداً وكان له شقيق أو أخ لأب عدت له زوجة شرعا ، ولا تحل لغيره ما دام حيا إلا إذا تبرأ منها ، وهم يمنعون عقد الزواج أيام السبوت ، وأيام الأعياد المنهى عن العمل فيها ، كذلك التسعة أيام الأولى من شهر آب ، والأربعة وعشرين التالية لعيد الفصح ، وإنما يجوز فيها التقديس للضرورة وهو قبول المرأة للرجل ولو بخاتم يعطيه إليها يدا بيد بحضرة شاهدين شرعيين قائلا لها بالعبرية تقدست زوجة بهذا الخاتم أو بكذا ، ولا تعد المرأة زوجة شرعا بلا تقديس وهو يسبق كتابة عقد الزواج الرسمي والصلاة الدينية بحضرة عشرة رجال على الأقل . والمرأة المتزوجة كالقاصر والصبي والمجنون ، لا يجوز لها البيع والشراء إلا بإذن زوجها ، وأن جميع ما تملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فرض لها من مؤخر الصداق في عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق منه .

(٦٦) تعدد الزوجات : لقد كان مبدأ تعدد الزوجات شائعا كثيرا لدى بني إسرائيل على الدوام ، وما كان القانون المدني أو الشرعي ليعارضه ، لكنه ينصح بكلمة لا ينبغي « لا ينبغي للرجل أن يكون له أكثر من زوجة ، وإذا كان الرجل في سعة من العيش ويقدر أن يعدل أو كان له مسوغ شرعي جاز له أن يتزوج بأخرى » ،[١] وحدد الربانيون الزوجات بأربع وأطلقه القراؤون .

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية في سوريا ماد (٥٤) .

(٦٧) الطلاق : للرجل سلطة واسعة وأسباب كثيرة شتى تدعوه للطلاق ، وهو لا يصح إلا أمام السلطة الشرعية بوثيقة بحضرة شاهدين، وتنصح السلطة الروحية رعاياها بأنه لا يليق بالرجل أن يطلق أول زوجة له بغير مقتض .

(٦٨) الميراث : أول من يرث الرجل ولده الذكر ، فإذا تعدد الذكور فللبكري حظ اثنين من إخوته ، ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح أو غير صحيح ، أما البنات فمن لم تبلغ منهن الثانية عشرة فلها النفقة والتربية، وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه ، وإذا لم يكن له ابن ابن، انتقل الميراث إلى البنت فأولادها وهكذا ، ويرى القراؤن أنْ يكون للبنت نصيب مع الولد ، سهمان للولد وسهم للبنت ، فإذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله ، وإذا لم يكن له أصول انتقل ميراثه للحواشي ، ولا ترث المرأة زوجها ، وكل مالها بعد موته ، هو مؤجل الصداق ، أما باقي ثروتها فقد آلت إلى زوجها ومنه إلى ورثته ، وإذا لم تطالب بمؤخر الصداق فلها أنْ تعيش مع الورثة وتأكل من مال التركة[1] وإذا مات الرجل عن أكثر من زوجة فلا عبرة للأقدمية في قيمة النفقة بل كلهن سواء .

ويستحل اليهود الإعتداء على الأموال والأعراض والأنفس من غير بني إسرائيل ، ولا يكون الزنا عندهم إلا في المؤمنة اليهودية ، كما يدعون ، وتبيح توراتهم الفسق والفجور عند اشتداد الشهوة إذا عمل ذلك بالسر .

---

(١) د . أحمد شلبي (اليهودية) ص ٢٨٦ .

نظام الأسرة عند النصارى

(٦٩) الأصل عندهم أن يترهب الناس رجالا ونساء ، فلا يتزوجون ولما كان ذلك غير ممكن ، أبيح الزواج إستثناء ، خوف الزنا ، وأجمعت جميع الطوائف عل قصره على واحدة ، ولا بد من إتحاد الدين والمذهب فلا تزاوج بين الطوائف المسيحية مع بعضها ،وأكثرهم تشددا في هذا المذهب الأرثوذكس ، أي (المذهب الصحيح) فهم يبطلون الزواج إذا تم على تلك الصورة ، وخالفهم المذهب الكاثوليكي أو الكنيسة الكاثوليكية في روما، فلم تبطل الزواج إلا عند إختلاف الدين فقط ، وهي وإن كانت تحرم ذلك دينيا إلا أنها تبيحه قانوناً .

ومثل هذا التفكير لا يوجد له نظير في الشريعة الإسلامية ، فما يحرمه الشرع لا يحق لأهل العلم القول بإباحته قانونا فالحلال بيّن والحرام بيّن لا سلطان لأحد إلا لله ولرسوله فالإسلام الذي حرم الزواج بين مختلفي الدين (كافر ومسلم) لم يذكر شيئا عن المذاهب الإسلامية لأنّه يعدها مدارس وليست طوائف ، فالسني يتزوج الشيعية ، والشيعي يتزوج السنية ما دام يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله .

وإستثناءالإسلام التزوج بالكتابية ، أي تزوج المسلم باليهودية أو النصرانية قد جاء النص الإلهي بـه من عند الله بالقرآن الكريم ، لا يد للناس فيه ، فلا أحد بعد الله ورسوله له الحق في التحليل أو التحريم ، وهذه قاعدة مضطردة في الإسلام خلاف ما تقرره المجامع المسكونية .

ومن الآثار التي تترتب على عقد الزواج ، كون الزوج ربّ الأسرةوالمسئول عن الإنفاق على الأسرة ، ولو أن المرأة تلتزم بالمساهمة مع زوجها في تحمل تكاليف الأسرة إلا أن عبء الإنفاق على الزوج ،ولتمكينه من ذلك يلزم القانون الفرنسي الزوجة بأن تضع بين يديه نصيبها في تكاليف

الأسرة ويتم ذلك في الـزيجات التي تنعقـد تحت نظام الإشتـراك في الأموال ، وهو النظام الغالب في العمل عند الدول الغربية ، عن طريق تولي الزوج إدارة وأخذ ريع أمـوال الزوجـة سواء مـا دخل منهـا في الشركـة الزوجيـة أو ما بقي مملوكا لها ملكيـة خاصـة ، أما إذا كـانت الزوجـة تتولى إدارة مهنـة ما ، وجب عليهـا أن تدفـع لزوجهـا نصيبها في تكـاليف الأسرة ومن تلك الآثـار كـذلـك الآتي :

١ ــ تثبيت السلطةالأبوية على الأولاد للزوج بوصفه أبا لهم .

٢ ــ تأخذ الزوجة اسم زوجها .

٣ ــ لا يجوز تعيين الـزوجة وصيـة على أمـوال ناقصي الأهليـة ، إلا إذا أذن لها زوجها .

٤ ــ تتأثر جنسية المرأة بعد زواجها بجنسية زوجها .

(٧٠) الميراث عند النصـارى : ليس في الدين النصـراني أحكام للمـواريث ، ويؤخذ أكثرهـم بالوصية وعادة ما تكون لأكبر الأولاد ، وتأخذ كثير من نحل النصـارى بأحكام المواريث في الشرع الإسلامي ، كما تخضع الملل والنحل والطوائف غير المسلمة التي تعيش في بلدان فيها أكثرية مسلمة للقانون العام للمواريث لجميع الشعب وهو مستمد من الشريعة الإسلامية .

الطلاق عند النصارى

(٧١) لا يزال تحريم الطلاق عند طائفة الكاثوليك المسيحيين أمرا شاقا ، ومصادما لطبائع الأشياء ، ومكلفا للناس ماهو فوق طاقتهم . فالكاثوليك يمنعون الطلاق مهما طرأ على حياة الزوجين من مصاعب ومتاعب ، حتى لو زنت الزوجة في بيت الزوجية ، والحل الذي يلجأون إليه في هذه الحالة . . هو أن يفترق الزوجان جسديا، ويعيش كل منهما منفردا عن الآخر ، ويحرم على كل منهما أن يتزوج بغيره . ولكن تبقى سبل المصادقة والمعاشقة مفتوحة أمام كل منهما ، وهي سبيل الشيطان الرجيم .

(٧٢) أما طائفة البروتستانت والأرثوذكس ، فتبيحان الطلاق بسبب الزنا أو تغير الدين ، ولكنهما تحرمان على الرجل والمرأة أن يتزوجا بعد ذلك .

ولقد حدثني بعض المتخاصمين في المحاكم أنهم يلجأون إلى تغير دينهم فراراً من نصوص القانون ، وربما بلغ بهم الحال إلى إتهام بعضهم بالزنا لذات الغرض .

وأدركت بعض الدول الأمر فيسرت الحصول على الطلاق ، وشرعت القوانين في ذلك فقد أقر البرلمان الهندي في ١٤/١٠/١٩٥٤ قانونا بإباحة الطلاق ، وكان ممنوعا عند بعض الطوائف الهندوكية ، وقال رئيس الوزراء البانديت (نهرو) تعليقا على القانون : إن إفتراق زوجين متباغضين خير من بقائهما على حقد وبغضاء ، وفي بريطانيا وافق مجلس العموم البريطاني على قانون يبيح للزوجين الطلاق بعد أن ينفصلا أحدهما عن الآخر لمدة عامين ، وقد جعل القانون الفرنسي للطلاق أربعة أسباب سببان رئيسيان أساسيان ، فإذا تحقق القاضي من وجودهما حكم بالطلاق هما : الزنا والحكم بعقوبة جناية تمس الجسم وتخل بالشرف والإعتبار . أما السببان الآخران جوازيان ، للقاضي

سلطة تقديرية من حيث الحكم بالطلاق من عدمه . وهما القسوة وسوء المعاملة من ناحية ، والإهانة الجسيمة من ناحية أخرى ويقول الدكتور عبدالفتاح عبدالباقي « وقد أدى توسع القضاء الفرنسي في تفسير القسوة وسوء المعاملة من ناحية والإهانة الجسيمة من ناحية أخرى باعتبارهما سببين للطلاق ، وعلى الأخص السبب الأخير ، أدى هذا التوسع الكبير إلى تمكين الزوجين من الناحية العملية إلى الوصول إلى الطلاق ، لمجرد إتفاقهما على إيقاعه ، ما دام أمر هذا الإتفاق لا يصل إلى علم القاضي ، فما عليهما لذلك إلا أن يظهر أحدهما أو كلاهما بمظهر إهانته للآخر ، كما إذا وجه إليه خطابا مصطنعا ملأه بالقذف والسباب ففي مثل هذه الحالة التي يلجأ فيها الزوجان إلى تصوير إهانة من أحدهما للآخر لم تقع في حقيقة الواقع ، نجد القضاء الفرنسي يحكم بالطلاق على أساس الإهانة الجسيمة ، كما لا يدفع أحد من الزوجين بالصورية والإصطناع . وهكذا وصل القضاء الفرنسي من الناحية العملية إلى إجازة الطلاق الواقع برضا الزوجين مجردا عن أي سبب آخر ، وإن كان ذلك بشكل خفي أو تحت ستار الإهانة الجسيمة أو القسوة وسوء المعاملة . فقد جاء ذلك صريحا في مجموعة نابليون عند صدورها حيث أجاز القانون إيقاع الطلاق إذا اتفق عليه الزوجان[1] .

وكانت آخر هذه الدول إيطاليا حيث أباحته عام ١٩٧١ فأخذت أوروبا اليوم ما عابته على الإسلام بالأمس .

ويكفي أن نعلم أنه ما أن أقر الطلاق في إيطاليا حتى قدم إلى المحاكم أكثر من مليون طلب طلاق .

(١) دروس ألقاها الدكتور عبد الفتاح عبد الباقي في كلية الحقوق

نظام الأسرة عند المسلمين

(٧٣) يعتبر الإسلام الأسرة قوام المجتمع ، فذلك يعتبر الزواج أمرا طبيعيا للبشر وسنة من سنن الله ، وهو نعمة من نعم الله على الإنسانية ليبقي النسل ، وليعمر الكون ، ولتستقر الحياة ، لهذا كان الإسلام حريصا على بقاء النوع الإنساني ، فأمر بالزواج وحث عليه ورغب فيه ، وعن أنس : أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ قال بعضهم ، لا أتزوج وقال بعضهم أصلي ولاأنام، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام،وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١] ، وعن قتادة عن الحسن عن عمران أن النبي ﷺنهى عن التبتل - وهو ترك الزواج -[٢] وقرأ عباده ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٣] .

وبالزواج تثبت النفقة للزوجة على زوجها ، وتقوم حرمة المصاهرة ، ويثبت النسب ، والتوارث ويحتفظ كل واحد منهما بماله الخاص ، مالم يتراضيا باتحاد ذمتهما في شركة معينة ، وعلى المرأة يقع عبء إدارة المنزل وتربية الأطفال يعاونها في ذلك زوجها بصفته رب الأسرة ، وعليها طاعته وعدم ترك المنزل إلا بأمره والرجل هو صاحب المسكن عليه إعداده وحمايته ونفقته ، وهو أبو الأولاد وإليه ينسبون، لكن الإسلام لا يمنع المرأة من العمل الشريف حالة كونها أماً وربة بيت، الا مع التهاون بالواجبات الزوجية، ولذلك منعها الإسلام أن تخرج

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه .

(٣) سورة الرعد الآية : ٣٨ .

من بيتها إلا بإذن زوجها ، ولا أن تأذن لأحد بدخوله إلا بإذن منه وموافقته .

لقد حرص الإسلام على أن تكون صلة التعاون بين الرجل والمرأة صلة عامة لا صلة خاصة ، لأن المقصود من هذا التعاون هو مصلحة الجماعة ، فجعل مجتمع النساء منفصلا عن مجتمع الرجال ولو في المسجد،وأمر النساء أن يرتدين اللباس الكامل المحتشم الذي يستر كل ما هو موضع للزينة ، ومثير للفتنة ، كما منع المرأة أن تسافر من بلد إلى آخر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها لما في السفر وحدها من تعرضها للفتنة ، والخوف عليها .

تعدد الزوجات عند المسلمين

(٧٤) سن الزواج في الإسلام لبناء الأسرة ، وجعله أساسا للنسل والمودة والرحمة ، وأباح التعدد إستثناء لأمور وشروط لابد توافرها ، هي في مصلحة المجتمع ، وفائدة الإنسانية ، ومرضاة للرب ، فماذا يفعل من كانت إمرأته عقيما لا تلد ، وقد أحبها وأحبته ، ورضيت له بالزواج من غيرها ولم تعارضه ، وماذا يفعل من كانت إمرأته التي لا يريد فراقها مريضة ، وقد عاشت معه مدة طويلة في صحتها وشبابها ، فهل من الإخلاص والوفاء طلاقها ، وماذا يفعل من أحب إمرأة في الله ولظروفها وظروفه عطف عليها ، هل يتخذها خليلة وعشيقة في الحرام كما يفعل أبناء الغرب وأمثالهم من المتحللين من الأخلاق، وهل من المروءة والشهامة والوفاء أن يطلق زوجته التي يحبها وتحبه ويعزها وتعزّه ، لا جدال في أنه من الخير للزوجة الأولى : أن تبقى في حمى الزوجية الحصين الأمين ، موفورة الكرامة ، ومعها رفيق حياتها وأولادها منه ـ من أن يطلقها فتعيش وحيدة وإلى جانبها أولادها محرومين من عطف الأب ، ورعايته ورقابته ، وقيامه نحوهم بواجب التوجيه والتربية والتعليم .

(٧٥) يقول الأستاذ العقاد : إنه خير للمرأة أن تشارك أخرى في زوجها فتجد رباطاً لعاطفتها ، وتحقيقا لأنوثتها ، وصونا لكرامتها ، من أن لا تجد رجلا قط ، أو تطلق من زوجها فتحيا محرومة من شرف الزوجية ، ونعمة الأمومة . وفي الوقت الذي أباح الإسلام الزواج في مثل هذه الأحوال ، لم يطلقه بل قيده بالقدرة على النفقة ، والإستطاعة على العدل ، وعدم الخوف لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[1] وألا يكون هواية تمارس ، وسببا من أسباب قطع أواصر المحبة ، والعلاقات القائمة .

---

(١) سورة النساء الآية : (٣) .

ومن جهة النساء بإنَّ الكثير منهن يحبذن التعدد على العزوبة ، فالعنوسة للنساء في غير مصلحة المجتمع ، والمرأة في الإسلام لا تتزوج حسب الشرع إلا برضاها ، وماذا يفعل النساء في مجتمع يكثر فيه عددهن عن عدد الرجال كالبلدان الفقيرة ، والمناطق التي تبلى بالحروب ، وهلاك الرجال والشباب ، أفليس من الأجدى أن يزوج الرجل أكثر من واحدة ، خير للمجتمع من أن تنتشر فيه الرذيلة واتخاذ الخليلة .

الطلاق عند المسلمين

(٧٦) يكره الإسلام الطلاق ، ولا يشجع أبدا إنفصام الزوجية وتفكك الأسرة ، لأنه دين الأُلفة والرحمة والمحبة ، وقد قال الرسول ﷺ في الحديث الصحيح « أبغض الحلال إلى الله الطلاق» ولكن الإسلام لم يغلق الباب في وجه الحياة الزوجية ويرغم الناس أن يعيشوا مع بعض على كره ، وأن يكون الزوجان في سجن ولا يريد أن تصبح حياتها نفاقا ورياء ، بل يحرص كل الحرص على أن يكون التفاهم هو أساس الأسرة ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾[1] فماذا يفعل من كرهته زوجته ، إلى درجة لا تستطيع الجلوس معه ، ولا ترغب في معاشرته إما لعيب فيه أو لعيب فيها ، وماذا يفعل من خانته زوجته ولا شاهد لديه ، هل يصبر عليها أم يطلقها ؟ وقد نهى الإسلام أن تترك الزوجة معلقة لا هي زوجة ولا هي مطلقة محسوبة على الزوج تأكل من نفقته وتسكن بيته وقلبها مع غيره ، وماذا تفعل المرأة كذلك إذا ابتليت بزوج لا يتقي الله فيها ، وقد أحست ظلمه وكرهه لها إما بتقتيره وعدم الإنفاق عليها، أو بهجره لها وإلحاق الضرر بها ، فقد يسر الإسلام لها سبيل طلب الطلاق ، والإفتداء والفسخ . وقبل إيقاع الطلاق بين الزوجين شرع الإسلام التحكيم ، باختيار حكم من أهلها وحكم من أهله، لكي يحاولا الإصلاح بينهما وذلك حرصا على بقاء الرابطة الزوجية ، حتى إذا تعذر الصلح ، وتعسر الوفاق، قرر الحكمان أو القاضي التفريق بينهما ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلّٗا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمٗا ١٣٠﴾[2] ومع هذا فقد نظم الإسلام الطلاق ولم يجعله باتا من أول الأمر ، بل جعله على مراحل تمكن الزوجين من مراجعة أحوالهما

---

(١) سورة النساء الآية : ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٩ .

وعودة الأمور إلى مجاريها باستئناف الحياة الزوجية من جديد فإذا طلق الرجل إمرأته له مراجعتها، ولو بدون رضاها ما دامت في العدة ، فإذا طلقت الحامل للزوج مراجعتها قبل وضع حملها، وإذا طلقت غير الحامل له مراجعتها قبل مضي ثلاث قروء وهي نحو ثلاثة شهور . وله مراجعتها برضاها بعقد ومهر جديدين بعد انتهاء العدة ،وثم أنّ له مراجعتها وتطليقها على النحو السابق ثلاث مرات . كل ذلك حتى يستنفذ الزوجان جميع وسائل الود التي تقربهما ليعيشا معا .

الفرق عند اليهود

(٧٧) لدى اليهود فرق كثيرة يختلف بعضها عن بعض في النظرة إلى بعض العقائد ونظم الحياة ، وإلى ما وراء الحياة ، ورغم هذا الإختلاف الكبير في الدين ، لا يؤثر في عقيدتهم الأصلية والتي تعتبر أساسية بأنهم شعب الله المختار المفضل على سائر الشعوب والبشر ، وكما نشاهد اليوم من التلون اليهودي في العالم . وإنتمائهم للطوائف والفرق الدينية والأحزاب السياسية في البلدان التي يحملون جنسياتها ، فمنهم الشيوعي الإشتراكي ، ومنهم الرسمالي الغربي . ومنهم المحافظون ومنهم العمال إلى غير ذلك من التلون العالمي والإندماج الديني والسياسي ، لا يخرج اليهودي عن يهوديته وولاءه لشعبه ، بل يظل يعمل ما استطاع في سره وعلنه لإسرائيل . ولنعد لنذكر أهم الفرق اليهودية بالتالي :

(٧٨) الفريسيون :

ويطلق عليهم اليهود المنعزلون، وذلك لقولهم بالبعث وقيام الساعة ، ويعتقدون بالملائكة والشياطين ، ولا يقدمون القرابين في المعابد ، وهم أشبه ما يكونون بالمتصوفة الزهاد ، ويهتمون بالتوراة كثيرا كما يهتمون بالتلمود ، يعتقدون بأن للحاخامات سلطة عليا ، وأن أقوالهم صادرة عن الله وأن مخافتهم هي مخافة الله ، ويرون أنَّ الحاخامات معصومون عن الخطأ، ومن قولهم في ذلك « ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحي ، فإذا قال لك إنَّ يدك اليمنى هي اليسرى فصدقه، ولا تجادله » كما في التلمود .

ولنفاقهم وإبتزازهم أموال الناس ، وإنحرافهم عن العقائد والسلوك الديني السليم وإتخاذ لباس الزهد والرهبنة للكسب الحرام ، ابتعد عنهم كثير من أتباعهم ، حتى فقدوا مكانتهم وأصبح الإنتساب إليهم عارا ، وربما كان

ذلك لسبب آخر هو معاداتهم المتعنته للمسيح والنصارى .

(٧٩) القراؤون :

بعد أن تدهور أمر الفريسيين ورث القراؤون نفوذهم ، وهم لا يعترفون إلا بالعهد القديم (التوراة) ولا يعترفون بالتلمود كروايات شفوية التي يزعم الحاخامات أنهم توارثوها الواحد بعد الآخر ، وهم يقولون بالإجتهاد على عكس الفريسيين .

الصدوقيون :

ينكر الصدوقيون البعث والحياة الآخرة ، ولا يرون أنَّ هناك جنةً ولا ناراً ولا حساباً ولا عقاباً في الآخرة ، وأنَّ جزاء الإنسان على ما ارتكب يتم في الحياة الدنيا ،فالذي يعمل الخير والصلاح يعود عليه بالخير والبركة ، والذي يعمل السيئات يسبب لنفسه الأزمات والمتاعب والنكبات ، وهم مثل القراءين في إنكار التعاليم الشفوية (التلمود) وينكرون الملائكة والشياطين، ولا يقولون بالقضاء والقدر ، ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله ، وينكرون المسيح المنتظر ولا يترقبونه .

وسمو الصدوقيون لأنهم صادقوا المسيح عليه السلام أكثر من غيرهم .

(٨٠) المتعصبون :

تتفق هذه الفرقة مع الفريسين في أكثر عقائدهم ، كالقول بالمسيح المنتظر وكالحماسة الوطنية ، والميل للعبادة الشديدة ، وهم لا يتسامحون مع الملحدين ولم يعترفوا بأي سلطان عليهم سوى سلطان الله ، وكان الموت عندهم أسهل من طاعة اليهود ، وهم بذلك عكس الفريسين الذين لم يلجأوا للحركات العنيفة ، ولذلك يطلق عليهم الجناح اليساري للفريسيين ومن ثم أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان وغيرهم .

(٨١) السامريون : تعيش بقيتهم في مدينة نابلس حتى اليوم ، ويقولون إنّ توراتهم هي الصحيحة دون غيرها ، وقد انقطعت صلاتهم بفرق اليهود الأخرى منذ العودة من السبي ، ورفضهم المشاركة في إعادة بناء الهيكل وهم يؤمنون بالمسيح المنتظر .

الفرق والطوائف عند النصارى

(٨٢) وكما اختلف اليهود في عقيدتهم ، ونظرتهم للحياة والبعث ، كذلك افترقت المسيحية إلى طوائف وملل شتى ، منها قد زال وفني بفعل اليهود والرومان ، وبفعل غلبة الطوائف المسيحية الأخرى عليها . فقد أتى حين من الدهر كان فيه التوحيد هو السائد قبل إنعقاد مؤتمر نيقة ، وأظهر الموحدين أريوس وأتباعه وقد كانوا كثيرين ، وكان من أتباعه بطريرك القسطنطينية ، وكان رأيه منتشرا في مصر والشام ، ومقدونية .

ومن الموحدين أصحاب بولس الشماطي ، يقول ابن حزم كان بطريركياً بأنطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح ، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد أنبياء الله عليهم السلام ، وأنه كان إذا عرض له البحث في كلمة الله وروح القدس أمسك عن ذلك .

(٨٣) فرقة مقدونيوس :

هي من الفرق الموحدة التي ظهرت بعد مؤتمر نيقة ، حيث أبعد التوحيد رسميا عن الديانة المسيحية ،وإن كان أتباعه أكثر عددا ، وأعز نفرا ، حيث لم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع ، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس ، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب بالنفي والتشريد ، وفعل الزمن فعله ، وتغلبت الظلمة على النور وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع ، وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل ألوهية المسيح في الجملة ، فيما عدا فرقة مقدونيوس التي أنكرت أن يكون روح القدس إلها ، وقاومت ما ترمي إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الألوهية ، ودعوة الناس إليها ، ولعل مقدونيوس هذا كان من الموحدين الذين لا زالوا يعتنقون التوحيد ، ويشايع في ذلك أريوس وسائر

الموحدين ، قبل الإضطهاد الديني وإنعقاد مؤتمر نيقة ، ويقول ابن البطريك[1] وفي عشر سنين من ملك (قسطنطين ابن قسطنطين الثاني) صير مقدونيوس بطريركا على القسطنطينية ، وكان يقول أن روح القدس مخلوقة وأقام عشر سنين ومات ، حتى انعقد مجمع القسطنطينية للرد عليه .

(٨٤) **النسطوريون :**

هذه النحلة تنسب إلى نسطور ، وكان بطريرك القسطنطينية ، ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين ، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت فقط الإنسان ، ويرى أن الأقنوم الثاني وهو الإبن لم يتجسّد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين ، بل إن مريم ولدت إنسانا اتحد بعد ولادته بالأقنوم الثاني ، وليس ذلك الإتحاد بالمزج وجعلها شيئا واحدا ، أو ذلك الإتحاد ليس إتحادا حقيقيا ، بل مجازيا ، لأن الإله منحه المحبة ، ووهبه النعمة ، وصار بمنزلة الإبن ، وهذا التخريج لا شك يودي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم ، وحوكم وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط ، فلم يكن إلها ولا ابن الإله ، ولما قال نسطور ذلك طلب منه أن يعدل عن رأيه فأبى ، فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١ م ، وقرر لعنه وطرده وإثبات أن مريم ولدت الإنسان والإله ، وأبعد نسطور عن منصبه ، ونفي فسار إلى مصر وأقام في أخميم إلى أن مات ، ويقول ابن البطريك كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فأحياها من بعده بزمان برصوما مطران نصيبين في عهد قباذ بن فيروز ملك فارس ، وثبتها في الشرق ، وخاصة في أهل فارس ، ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق ، في العراق والموصل والجزيرة ، ولا زال إلى الآن نسطوريون ينتحلون هذه النحلة ويأخذون بهذا المذهب وهم الذين يسمود الكلدان ، ومنهم طائفة تقيم في الهند ، وأخرى تقيم في بلاد العجم .

(٨٥) وقد انحرف إعتقادهم عن مذهب نسطور فصاروا يعتقدون أن في المسيح أقنومين ، كما أن فيه طبيعتين قد التصقتا أي امتزج اللاهوت بالناسوت ، حتى

---

(١) محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥٤

صار منهما رؤيةواحدة ، فنسطور لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط بـل يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة . والكنيسة الرومانيـةالتي كانت تشدد في القرون الخالية في طـرد كل من يخـالف معتقدهـا ، وتعده كـافرا ، لا يلج الإيمان قلبه قد تساهلت في هذه الأعصر بفعل السياسة ، فوسعت صدرها للمخالفين لها وتأولت لهم ، لتدخلهم في حضيرتها بعد سـابق الحرمـان والطرد واللعن .

الطوائف المعاصرة وإنقسام الكنيسة

(٨٦) والآن سوف نتكلم على أبرز الطوائف التي صمدت في وجه الإضطهاد الديني أو التي تغلبت أفكارها ، وآراؤها وحمت نفسها واستطاعت أن تكون لها مذاهب ومناهج مستقلة إلى اليوم .

وسبب إنقسامهم ـ بعد تصفيتهم لعقيدة التوحيد ـ يرجع إلى نظرتهم لشخصية عيسى عليه السلام هل هو ذو طبيعتين ، وذو مشيئتين ، وأقنوم واحد أم أن للمسيح طبيعة واحدة إلهية ومشيئة واحدة ، وهناك سبب آخر عقائدي ثار بعد المجمع الثالث حول روح القدس ، ومن أي شيء انبثقت هل كانت من الأب وحده أم من الأب والإبن معا . كما ثار خلاف آخر في مدى سلطة الكنيسة ، وهيمنة رجال الدين ، في تفسير الكتاب المقدس وإصدار صكوك الغفران وقرارات الحرمان ، وإليك الفرق المعاصرة .

الكاثوليك

(٨٧) الكاثوليك ومعناها العامة ، وتسمى الكنيسة الغربية ، واللاتينية ، ويزعمون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول ، كبير الحواريين ، والبابوات في روما خلفاء له . ويعتبر البابا تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله ، ولذلك كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة ، لأن البابوات عندهم معصومون عن الخطأ . وتدعي هذه الكنيسة أم الكنائس ، وتمتد شوكتها على الخصوص في بلاد إيطاليا وبلجيكيا وفرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال ، وشعوبها منتشرة في أقطار الأرض . وعقيدتها : أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية ، أي اجتمع فيه اللاهوت بالناسوت ، وأن روح القدس نشأ عن الله الأب والله الابن معا .

الفاتيكان : هو عبارة عن حي أو مدينة صغيرة في روما ، مقر البابا ومحل سلطانه ومعاونيه الذي يدير شئون المسيحيين في الخارج منها ، ولها إستقلالها الروحي والإداري وللفاتيكان سفراء في دول العالم يمثلون دولته ويرعون مصالح النصارى ، وهم في الحقيقة دعاة التبشير وطلائع الإستعمار الغربي .

البروتستانت

(٨٨) وتسمى الكنيسة الإنجيلية ، نسبة إلى أتباعها ، الذين يرون أنهم يتبعون الانجيل دون غيره ، ويفهمونه بأنفسهم ولا يخضعون لفهم سواهم له ، ولا يختص القسس والبابوات بفهمه فقط فكل قادر له الحق في فهمه ويعارضون رجال الكنيسة الذين يعتبرون فهم الإنجيل وقفا عليهم ، ويضيفون إليه الإلهام والتعاليم غير المكتوبة الشفوية التي يزعم البابوات أنهم يتناقلونها واحدا بعد الآخر ، وهم لا يعرفون الرهبنة ولا يحرمون الزواج على رجال الدين .

وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا ، وإنجلترا ، والدانمرك ، وهولندا ، وسويسرا ، والنرويج ، وأمريكا الشمالية .

إنَّ الكنيسة البروتستانتينية كانت في الأصل داخل الكنيسة الكاثوليكية وانفصلت عنها نتيجة ما يسمى بالإصلاح الديني، حيث قامت الثورة على سلطة البابا الواسعة ،ومن أشهر الذين قادوا حركة الإصلاح الديني (مارتن لوثر) في ألمانيا ، و (توماس مامور) في إنجلترا إبّان القرن الخامس عشر والسادس عشر .

الأرثوذكس

(٨٩) الأرثوذكس وتسمى بالكنيسة الشرقية ، أو اليونانية والروم الأرثوذكسية ، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين كروسيا والبلقان ، وكان مقرها في الأصل مدينة القسطنطينية بتركيا ، وقد انفصلت عنه ، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة في مصر ، والحبشة ، ومعظم مناطق أفريقيا ، وقد حافظت هذه الطائفة على المحرمات من المأكولات ، فحرمت الدم ، ولحم المنخنقة - وهي الميتة بلا ذبح - بينما أجازت ذلك الكنيسة الغربية .

لقد كانت هذه الكنيسة تحت لواء الكنيسة الكاثوليكية بروما - رغم ما يحيك في نفوس أهلها من الشك في معتقدات متبوعيهم بعد الخلاف الذي أثير حول طبيعة المسيح التي انفصلت بسببها فرق مسيحية عديدة ، حتى إذا أثيرت قضية إنبثاق روح القدس ، هل هو من الأب وحده ، أم من الأب والإبن معا ، جهر بطريرك القسطنطينية برأيه وهو أن الروح القدس انبثق من الأب فقط، فقام رئيس الكنيسة بروما بعزله، واستطاع فوسيوس أن يعود لمنصبه ، وعقد مجمعا آخر في القسطنطينية سنة ٨٧٩ سمي بالمجمع الشرقي اليوناني ، وقد قرر فيه رفض كل ما قرره المجمع الأول ، وقرر إنبثاق الروح القدس من الأب فقط ، وقد صار كل مجمع يعتبر عامًا عند مشايعيه كما يعتبرون الآخر خاصا ، بل باطلا غير ملزم ، وكل يكفِّر الآخر أو يفسقه قال

تعالى ﴿ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1] .

عقيدتها : لقد كان قرار مجمع (خلكيدنية) ، هو السبب في إنفصال الكنائس عن الكنيسة الغربية ، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية في مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال (كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس ، وديسقورس ، ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية ، والسريانية الأرثوذكسية ، تعتقد بأنَّ الله ذات واحدة ، مثلثة الأقانيم ، أقنوم الأب وأقنوم الابن ، وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثاني أي أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء ، فصير الجسد معه واحدا ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الإختلاط ، والإمتزاج والإستحالة ، بريئة عن الإنفصال ، وبهذا الإتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ، ومشيئة واحدة)[2] .

المارونية

٩) المارونيون هم أتباع يوحنا مارون ، الذي اشتهر برأيه سنة ٦٦٧ م أنَّ للمسيح طبيعتين ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة ، لإلتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد ، وشايعه بعض القسيسين فيه ، ولكن هذه النحلة لم ترق في نظر البطارقة ، لذلك أوعزوا إلى الإمبراطور الروماني يوغانا قوس أن يجمع مجمعا عاما في زعمهم ، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين ، وذو مشيئتين ، فكان المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ م . وقد كان من عمله لعن وطرد كل من يقول بالمشيئة الواحدة ، كما لعن وحرّم وكفّر من قال بالطبيعة الواحدة ، وكل من يذهب مذهبه وينتحل نحلته ، ويظهر أن المتحلين لهذا الرأي من المارون لم يكونوا ذوي شوكة وقوة ، حتى يكونوا بمنجاة من الأذى والإضطهاد ، فقد نزلت بهم إضطهادات شديدة ، لم يكن لهم من يدفعها عنهم إلا الفرار ، فلم

---

(١) سورة الروم الآية : ٣٢

(٢) محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٤٠ .

يجدو لهم مأمنا يعتصمون به إلا بعض القرى في جبل لبنان ، فاعتصموا بها ، وقد استمروا على إعتصامهم وبعدهم ، حتى لعبت السياسة دورها فقربتهم الكنيسة الرومانية منها، فأعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والإتحاد معها ، على أن يبقوا على رأيهم ، ولقد كان إتحادها مع الكنيسة الرومانية سنة ١١٨٢ بعد الميلاد ، ولا تزال هذه الطائفة متوطنة بجبل لبنان ، ولها بطريرك خاص هو الآن البطريرك المعوشي ، وإن كان يقر بالرياسة لبطريرك روما[١] .

---

(١) محضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥٩ .

الفرق والطوائف عند المسلمين

(٩١) لا يوجد عند المسلمين فرق وطوائف بالمعنى المعروف لدى اليهود والنصارى، ويعتبرون أنفسهم أصحاب دين واحد، المسلم أخو المسلم لقول الله عز وجل في القرآن الكريم ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ولقد سار المسلمون على هذا المبدأ زمنا طويلا، لا يعرفون للمذاهب ولا للفرقة سبيلا، وإذا وجد من يقول إنه من أهل السنة، ومن يقول إنه من أهل الشيعة، فلا يعني أنه قد خرج عن المبدأ الإسلامي، ودخل في (الهرطقة) التي توجب محاربته ومقاتلته، كالذي يحصل بين الكاثوليك والبروتستانت في إيرلندا اليوم، أو الذي حدثنا عنه التاريخ في الماضي إبّان ما يسمى بالإصلاح الديني في أوروبا، فالمقياس والميزان عند المسلمين هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، وبالرضا بالقدر خيره وشره من الله، وأنّ للإنسان أفعالاً إختيارية يحاسب عليها، فيجازى بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3] فمن آمن بتلك العقيدة عدّ مسلما ومن كفر بها أو أنكر شيئا منها عدّ كافراً.

وعندما نتكلم على الفرق عند المسلمين أو التي تعيش في بلاد المسلمين، فلا بد أن نفرق بين الفرق الظاهرة والفرق الباطنة، ومعنى الظاهرة: أي المعروفة لدى الناس بعقائدها وكتبها وكثرة أتباعها، ويستطيع

---

(١) سورة الحجرات الآية: ١٠.
(٢) سورة الحجرات الآية: ١٣.
(٣) سورة الزلزلة الآية: ٨.

الشخص التعرف على أفكارها ، وما تدعو إليه ، وتؤمن به ، كأهل السنة . والشيعة الإمامية ، والشيعة الزيدية .

(٩٢) أما الباطنة ويسمّون الباطنيّة :

فهي فرق صغيرة كثيرة ، تحتضن أفكارها وعقائدها ودياناتها وكتبها ، ويقول الشهرستاني (وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأنّ لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا)[1] وهي إما مستورة تشهد أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، فلا نقول فيهم شيئا ، لعدم معرفتنا التامة بتفاصيل معتقداتهم وشعائرهم ، ولأنّ ديانتهم ودعوتهم ليست للنشر ، لذلك نكلهم إلى الله في حسابهم ، وأتباع هذه الفرق قليلون في المجتمعات الإسلامية ، وأما فرق غير مستورة الحال يجاهرون بفسقهم وكفرهم وعداوتهم لله ورسوله وآل بيته وصحابته ، من المهاجرين والأنصار ، الذين نصروه وعزروه ، واتّبعوا النور الذي أنزل معه، فهم كفار عند المسلمين جميعا ، أمثال (الرافضة الغلاة) : وهم فرق كثيرة من الشيعة ،الذين يؤلهون أمير المؤمنين عليا ابن أبي طالب عليه السلام ويطعنون بالملائكة الكرام ، كالذين يقولون في جبريل (خان الأمين وصدّها عن حيدرا) ، أو الذين يعتقدون بنقص القرآن أو الزيادة فيه ، ويقولون بأنّ الأئمة رضوان الله عليهم يوحى إليهم كالأنبياء ، ويدخل في هذا االباب كل من يقول من الصوفية (حدثني قلبي عن ربي) قاصدا الوحي إليه كالأنبياء والرسل ، لكن أولياء الله الصالحين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

---

(١) الملل والنحل ص ٢٤ ـ ٢٩ .

الشيعة الامامية الإثنا عشرية

(٩٣) هم الفرقة الإسلامية الثانية بعد أهل السنةوالجماعة ، بالنسبة للعدد ، وسميت بالإمامية لقصرهم الإمامة للعالم الإسلامي على إثني عشر إمام من آل البيت ، هم علي بن أبي طالب وأحد عشر من ذريته عليهم وعلينا السلام ، ولا يجوز أن يزيد العدد من وفاة النبي ﷺ إلى قيام الساعة ، ويسمونهم المعصومون .

والإمامة واجبة بإجماع المسلمين لقول الرسول ﷺ في الصحيح (من خلع يدا من طاعة الله ، لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)(١) .

والإمام هو خليفة رسول الله ﷺ ، أمير المؤمنين ، وأن الأمة واجب عليها الإنقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله ، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ .

وفيما يرى أهل السنة أن الإمام يختار من بين عدول المسلمين وأصلحهم وأفضلهم ، لهذا المنصب الخطير ، يرى الشيعة الإمامية ، كما ذكر السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء (أن مرادهم بالإمامة كونها منصبا إلهيا يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ، ويأمرهم بإتباعه ، ويعتقدون أنَّ الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علما للناس من بعده)(٢) ولابدَّ أن يكون معصوما عن الخطأ كالنبي ، وأن يكون أفضل أهل زمانه ، في كل فضيلة ، وأعلمهم بكل علم ، لأن الإمام عندهم

---

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر (٢٢/٦) .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ص ٧٧٥ ـ ٧٩ .

في الكمـالات دون النبي وفـوق البشـر ، ثم يضيف السيـد محمـد الحسـين آل كاشف الغطاء فيقول : ولكن كبار المسلمين بعد النبي ﷺ ، تأولوا النصـوص نظرا منهم لصالح الإسلام حسب إجتهـادهم ، فقدمـوا وأخروا ، وامتنـع علي وجماعته من الصحابة عن البيعة أولا ، ثم رأى في إمتناعه عن الموافقة والمسالمـة ضرر كبير على الإسلام ، بل ربما ينهار من أساسه ، وهو بعد في أول نشوئـه ، وزد عـلى ذلـك أنـه رأى الـرجـل الـذي تخلف عـلى المسلمـين[1] قــد نصـح للإسلام ، وصار يبذل جهده في قوته وإعزازه ، ويبسط رايتـه على البسيـطة ، وهذا أقصى ما يتوخاه أمـير المؤمنين من الخـلافة والإمـرة ، من ذلك كله تـابع وبـايع حيث رأى أنّ بـذلك مصلحـة الإسلام ، وهـو عـلى منصبـه الإلهي من الإمامة ، وأن سلم لغيره التصرف والرئاسة العامة[2] .

---

(١) المقصود بالرجل أبو بكر رضي الله عنه .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

الأئمة الإثنا عشر

(٩٤) ١ ـ الإمـام علي بن أبي طـالب (الملقب بحيـدر) ابن عم رسـول الله ﷺ ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء ، وأبو زوجة عمر بن الخطاب (أم كلثوم) .

٢ ـ الإمـام الحسن بن عـلي بن أبي طالب تنـازل عن الخلافـة حقنـا لـدمـاء المسلمين .

٣ ـ الإمام الحسين بن عـلي بن أبي طالب قـاتل من أجـل الخلافـة فقتل ظلما (الإمام الشهيد) .

٤ ـ الامام علي بن الحسـين (الملقب زين العابـدين) أبو الإمـام زيد ، إمـام الزيدية[1]

٥ ـ الإمام محمد بن علي (الملقب بالباقر) من أعلام العلماء .

٦ ـ الإمـام جعفر بن محمـد (الملقب بالصـادق) وله ولـدان اسماعيـل إمـام الإسماعيلية ، والإمام موسى الكاظم .

٧ ـ الإمام موسى بن جعفر (الملقب بالكاظم) أوصى له أبوه بالإمـامة بعـد أن عزل أخاه اسماعيل .

٨ ـ الإمام علي بن موسى بن جعفر (الملقب بالرضا) .

٩ ـ الإمـام محمـد بن عـلي (الملقب بـالقـانـع) .

---

(١) الزيدية فرقة من فرق الشيعة التي تقول بـالإمامـة لكنها تجيـز إمامـة المفضول مـع وجود من هـو أفضل منه ولا تحصرها في عدد معين ، وليس التسلسل شرطاً عندها ، ولا تطعن بصحابة رسول الله ولا بالخلفاء من بعده ويكثرون في موطنهم اليمن .

١٠ ـ الإمام علي بن محمد (الملقب بالهادي النقي) مات أبوه وهو في السادسة من عمره .

١١ ـ الإمام الحسن بن علي(الملقب العسكري) وبعد وفاته تولى الإمامة بعده أخوه جعفر بن علي لكن إمامته كانت محل طعن .

١٢ ـ الإمام الثاني عشر هو (الغائب والملقب بالمهدي المنتظر) .

نائب الإمام

(٩٥) يقول الشيخ رضا المظفر : المجتهد الجامع للشرائط نائب الامام في حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق ، له ما للإمام من الفصل في القضايا ، والحكومة بين الناس ، والرادّ عليه رادّ على الإمام ، والراد على الإمام رادّ على الله تعالى . وهو على حد الشرك بالله ، إلى أن قال : له الولاية العامة ، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء ، وذلك من مختصاته ، لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه ، كما لا يجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه ، لذلك يسمى نائب الإمام[1] .

(١) عقائد الشيعة الإمامية منقول من كتاب (رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة) للشيخ كمال الدين الطائي ص ١٥٨ .

المهدي المنتظر عند الشيعة

(٩٦) يرى الشيعة الإمامية أن المهدي المنتظر هو الإمام الثاني عشر الغائب ، محمد بن الحسن ولد من الجارية نرجس من غير أن يظهر عليها الحمل ، في حياة والده ، وأنه قرأ جميع القرآن بعد سقوطه مباشرة ، وأنه دخل في سرداب أحد المنازل بغار فيه واختفى وهو طفل بمدينة (سامراء) بالعراق وأنه لا يزال حيا هناك ، وأنه سوف يظهر آخر الزمان بمكة ، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة ، وهو من عترة رسول الله ﷺ من أولاد فاطمة ، يبايعه المسلمون بين الركن والمقام[١] .

يعتقد الشيعة الإثنا عشرية أن الإمام الثاني عشر قد عهد بالمرجعية الدينية إلى أربعة من أتباعه الخلص سموا (الوكلاء الأربعة) ، أو السفراء الأربعة بينه وبين شيعته مدة الغيبة الصغرى (٢٦٦ ـ ٣٢٩ هـ) وكان يتصل بهم في تلك الفترة وهم عثمان بن سعيد العمري ، فلما مات عثمان أوصى إلى أبي جعفر محمد عثمان ، فلما مات محمد بن عثمان ، أوصى إلى أبي القاسم الحسين بن روح ، فلما مات الحسين أوصى إلى علي بن محمد السمري ، فلما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال : (الله في أمر هو بالغه) .

ويعلق السيد عبد الحسين مهدي العسكري بعد أن ذكر ذلك فيقول وبهذا يتضح أنه لا صحة لإدعاء ابن نصير أنه وكيل الإمام الغائب ووكيل أبيه من قبله وأنه (الباب) إليهما ، ووارث علمهما والمرجع من بعدهما . ويقصد

(١) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم أمير القزويني ص (٥٠ ـ ٥١) .

بـذلك أبـو شعيب محمد بن نصـير البصري النميـري مؤسس فـرقـة النصيرية العلوية .

ويعلق السيد أمير محمد الكاظمي القزويني على تسلم جعفر ـ أخو الإمام العسكـري ـ الإمامـة بعد وفـاة أخيه وإنكـاره ولادة مولـود لأخيـه ، وحيـازتـه تركته ، فيقول : إن ذلك من الأمور المعلومة ، لكنـه يضيف القول بـأن جعفر فعل ذلك ليخضع له الشيعة بالطاعة ، بعد انتقال الامامة إليه ، ليصل إليه ما كان يصل إلى أخيه (ع) من خمس الغنائم التي كانت الشيعة يحملونها إلى أخيه (ع) في حيـاته وإستمـرارهم على ذلـك بعد وفـاته ، هـذا وإضعافـه ما دعـاه لإرتكاب الباطل والضلال (١) .

ومن أراد المزيد من أخبار المهدي المنتـظر فعليه قـراءة كتاب القـطرة من بحار مناقب النبي والعترة لرضي الدين الموسوي التبريزي .

رأي أهل السنة في المهدي المنتظر

(٩٨) إستناداً إلى ما صح عندهم من الأحاديث ، يظهـر رجل صـالح من أهـل بيت رسول الله ﷺ ، يواطىء اسمه اسم النبي يحـكم بالعدل فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً .

(١) الإمام المنتظر السيد أمير القزويني ص (٤٤ ـ ٤٥) .
(٢) النصيرية ص ٤٦ .

أدعياء المهدي المنتظر

(٩٩) وقد استغل الموضوع ممن استهواهم حب الظهور ، إما لسبب سياسي أو لغرض دنيوي ، أو الذين شعروا بالإستبداد والظلم الإجتماعي ، فراح كل منهم يدعي أنه المهدي المنتظر .

(١٠٠) ففي القرن العاشر الميلادي ظهر في الشمال الأفريقي مهدي الفاطميين عبيدالله ، المنحدر من سلالة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقد قبض عليه الخوارج وأودعوه السجن بإيعاز من الخليفة العباسي لكن داعيه المخلص أبو عبد الله الشيعي اليمني ، استطاع تخليصه من السجن وهيأ له دخول مدينة القيروان بتونس ، حيث أسس دولته هناك ، واتخذ له مدينة المنستير عاصمة له ، لكن حكم الفاطميين في الشمال الإفريقي لم يدم طويلا لعدم تمكن جذوره الدينية لدى الناس فتركوه بعد أن هددوا وانتقلوا إلى مصر ، وتوفي المهدي سنة ٩٣٤ م .

(١٠١) وفي الشرق ظهر ميرزا علي محمد الذي ادعى الإنتساب إلى الحسين بن علي في شيراز بإيران وتلقى علومه على يد (أحمد الإحسائي) ولما بلغ الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر الذي يقول إنه أوتي علم الإمام النوراني ، ثم ادعى بعد ذلك أنه الإمام المنتظر ، ثم ادعى أنّ الله قد حلّ فيه . فعقد له العلماء مجلس مناظرة ، ولما أصرّ على الضلال أفتوا بكفره ، ثم صدر الحكم بإعدامه فصلب في تبريز سنة (١٢٦٥هـ ـ ١٨٥٠ م)[1] .

(١٠٢) وفي المغرب العربي بالجزائر سنة ٥١٥ هـ ـ ١١٢١ م ، ادّعى زعيم الموحدين البربري محمد بن عبدالله بن تومرت أنه المهدي المنتظر ، وادعى لنفسه

---

(١) التوحيد والفرق المعاصر الشيخ كمال الدين الطائي ص ٢١٠ .

النسب الشريف للنبي ﷺ حيث ينسب إلى سليمان بن عبدالله الكامل بن حسن المثنى بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب ، وبعضهم ينسبه إلى العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب والله أعلم بحقيقة الأمر[1] وابن تومرت رجل حقق من الإصلاح الشيء الكثير ، ويعتبر مؤسس دولة عظيمة في المغرب الإسلامي ، وأعطى للمغرب والأندلس مذهبا تشريعيا دينيا دعا إليه أولا ، ثم فرضه بانتصاراته على تلك البلاد ، وهو يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك والكفر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتمسك بالكتاب والسنة ، وإجماع الصحابة ، ولشدّ ما حرص على وجوب الإعتقاد بالإمامة على الكافة ، بأنها ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمد الشريعة ، قال بالعصمة (ولا يكون الإمام إلا معصوما من الباطل ليهدم الباطل) وقاده ذلك بعد أن رأى أن الضلال قد عم ، والعدل ارتفع ، وأن الجور عم ، وأن الرؤسا الجهال استولوا على الدنيا قاده ذلك للقول بأنه المهدي ، وظل في دعوته مجاهدا مناضلا حتى توفي سنة (٥٢٤ هـ ـ ١٢٣٠ م)[1] .

(١٠٣) وآخر هؤلاء محمد القحطاني الذي ظهر في مكة سنة ١٩٨١ حيث لقي حتفه مع عدد من مؤيديه، بقيادة جهيمان العتيبي، فقد أحدثوا ضجة في الحرم المكي، مطالبين ببعض الاصلاحات الاجتماعية والدينية، وحالما تناقلت وكالات الأنباء، والاذاعات المسموعة والمرئية نبأ الحادث، سارع المسؤولون في السعودية الى التعتيم على الحادث، ودعي الجيش لمقاتلتهم والقبض عليهم ثم محاكمتهم وتنفيذ حكم الإعدام في الأحياء منهم.

(١) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (الفردبل) ص ٢٦٥

الحزن والبكاء عند الشيعة

(١٠٤) يقول الشيعة نحن شيعة علي وتابعوه نسالم من سالمه ، ونحارب من حاربه ، ونعادي من عاداه ، ونوالي من والاه ، إجابة وإمتثالاً لدعوة النبي ﷺ : اللهم والي من والاه وعاد من عاداه ، وحبنا وموالتنا لعلي وولده إنما هي محبة وموالاة للنبي وإطاعة له » .[1] أقول : ولا يخرج على هذا المبدأ إلا من خسر نفسه ، ولم يعرف حق الله عليه في أهل بيت رسول الله ﷺ ، ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]

وبعد مقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، بدأت الأحزاب السياسية بالظهور ، فبرز الأمويون والخوارج والشيعة وصار لكل حزب أتباع ومؤيدون وقد غالى كل بزعمائه وقادته ، ولا شك أن مقتل الإمام ليس بالشيء الهين على محبيه بل على كل مؤمن يخاف الله فبدأ الحزن يأخذ تأثيره في النفوس ، مما أضعف معنويات أتباع الإمام علي وقوى شوكة الأخرين ، ويأتي تنازل الحسن بن علي لمعاوية عن الخلافة بعده بوقت قصير مما أرّق العيون وأحزن القلوب ، وزاد الحزن حزنا والألم جرحا ، فلم يكن لشيعته من الأمر غير البكاء والدعاء والعتاب . ثم قام بالأمر من بعده أخوه الحسين وما لبث غير بعيد حتى قتله أعداءه مع جملة من آل بيت رسول الله شر قتله ، ولم يراعوا فيهم إلا ولا ذمة ، وكان ذلك في الشهر الحرام (المحرم) وسمي بشهيد شباب أهل الجنة غفر الله له وجمعنا وإياه .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الشورى الآية : ٢٤ .

ولا شك أنها مصيبة كبـرى ، وبلوة عظمى ، أصـابت المسلمين عـامة حزنت لها الدنيا وبكت لها القلوب دما، فـاتخذ الشيعـة من ذلك اليـوم بل من شهر المحرم كله ذكرى حزينة يبكون فيها ويندبـون سيّد الشهـداء ، وصاروا يجتمعون في كل سنة في مثل ذلـك الوقت لهـذا الغرض ، ولكن زيـادة المحبة بـطول المـدة، ولـدت ضـرب الصـدور وشق الجيـوب والصـراخ والنحيب ، والضرب بالسلاسل وجرح الأبدان وأنّ ذلك يقرب إلى الله ويـزيل الخـطايا ، ويدخل الجنة ويبعد عن النـار ، وإشتداد العـداوة لغير الشيعـة بل إنَّ الأمـر تعدى عند البعض إلى سب صحابة رسـول الله وزوجاتـه ، وأصهاره ممـا هو زور وبهتـان وأنا لا أعم الجميـع من العقلاء ممن يعـرفـون أنّ ذلـك ليس من الدين في شيء . ولا إتيان مثل هذه الأفعال والأقوال مما يقرب إلى الله بل إنَّ في ذلك إثما .

(١٠٥) الحسينية :

هي مكان يشبه النادي يختلف إليه الناس من مختلف الأعمار ويكثر فيه الزوار في الأعياد والوفيات ، والمناسبات الـدينية ، وخـاصة في الشهـر المحرم الذي يمنعون فيه عقود الزواج والأفراح ، والمناسبات السارة على أسـاس أنهم في حزن وقد اكتسبت الحسينيات لدى الشيعة مكانة التقدير والإحترام .

أقـول : إذا كان الغـرض من كل هـذا هـو حب آل البيت وأئمتهم ، والحزن والتألم لما أصابهم ، فلا نختلـف معهم في شيء ولا عاش من لا يحبهم وقد مات ابن رسول الله ﷺ إبراهيم كما مات غيـره من آل البيت ، وغيرهم من عظماء الصحابـة والشهداء الأبـرار ، والمعروف عن الـرسول ﷺ أنـه قال لما مات ابنه « العين تدمع والقلب يحزن ،ولا نقول إلا ما يرضي ربنـا ،وإنا بفـراقك يـا إبراهيم لمحـزونون »[1] .

---

(١) رواه البخاري

الإسماعيلية

(١٠٦) فرقة من فرق الشيعة المعاصرة المغالية ، موطنها شبه القارة الهندية ولها أتباع في أفريقيا وأوروبا ، انفصلت عن الشيعة الإمامية ، وادّعت أنّ إمامها إسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفي قبل والده وكان أبوه قد أوصى له بالإمامة ، فيجب عندهم أن تنتقل الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل بن جعفر ، لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه إلا في حالة الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأما الامامة بعدهما فلابد أن تنتقل من أب إلى ابن ، وأولوا الآية الكريمة ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨ ﴾[1] بأن معنى الكلمة هي الإمامة، وأنها لابد أن تكون في الأعقاب دون غيرهم، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان محمد بن اسماعيل أكبر سنا من عمه موسى الكاظم ، فبناء على التقليد الشيعي الذي يوجب تسلسل الإمامة في أكبر أهل البيت سنا ، كان محمد بن اسماعيل أحق من عمه موسى الكاظم بالامامة[2] وهم يقررون أن الإمام يصح أن يكون مستورا وتجب طاعته، ولا يمنع إمامته ، ولا تخلوا الأرض من إمام حي قاهر ، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور .

وكان الخلاف في أول الأمر بسيطا لا يعدو أن يكون حول الإمامة ، ولكنه استفحل بعد ذلك ، وبمضي الزمن أدخلت آراء جديدة ، وأصول للعقيدة تبعد عمّا كانت عليه الطائفة قبل خروجها عن دائرة التشيع العامة[3] . والمتتبع لتاريخ الطائفة الإسماعيلية يجد أنّ الكثير من الطوائف

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٢٨ .

(٢) محمد كامل حسين طائفة الإسماعيلية ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق .

التي خرجت عن الإسلام وكادت له ، انبثقت وأخذت عن هذه الطائفة ، كالقرامطة، والنصيرية وإخوان الصفا والحشاشين وغيرهم من الفرق المعاصرة التي تبطن خلاف ما تظهر .

وقد تعاظمت الدعوة الإسماعيلية ، وانتشرت ، واستولت على المدن والقرى ، وأقامت دولة وأخذت تفسد تعاليم الإسلام ، وادعى الحاكم بأمر الله بأنّ التجسد الإلهي قد حلّ فيه ، ثم اختفى ، فانفصلت الطائفة الدرزية عن بقية الإسماعيلية لإعتقادهم بأن الحاكم بأمر الله لم يمت وأنه سيعود ، فهو الإمام المنتظر عند هذه الطائفة [١] .

(١) التوحيد والفرق المعاصرة كمال الدين الطائي ص ١٧٧ .

الأغاخانية

(١٠٧) فرقة من الإسماعيلية قامت بنشاط في إيران بتأييد من الإنجليز بزعامة شخص اسمه (حسن علي شاه) ولما نفي إلى الهند اعترف الإنجليز بإمامته على الطائفة الإسماعيلية ، وخلعوا عليه لقب (أغاخان) فانتسب إلى نزار بن المستنصر الفاطمي ، وأصبح إمام الإسماعيلية النزارية ثم خلفه ابنه الذي عرف بأغاخان الثاني ، ثم خلفه ابنه محمد الحسيني أغاخان الثالث . وقد عاش هذا في أوروبا ، وأخذ من ملاذ الدنيا ولهوها بنصيب كبير ، وقد تزوج أربع مرات من إيرانية وإيطالية وفرنسية ، والرابعة إحدى ملكات الجمال . ثم خلفه حفيده (كريم) وهذه الفرقة تقدس أغاخان وتلقبه بالإمام المعصوم ، ويضفون عليه صفات الألوهية ، ويدفعون له خمس ما يكسبون [1] .

(١٠٨) القرامطة : فرقة من فرق الشيعة ـ يرجع أصلهم إلى رجل رافضي من عامة أهل الكوفة يسمى « حمدان بن قرمط » الذي خلف من بعده أبا سعيد الجنابي الذي قتل في الحمام سنة ٣٠١ هـ .

ظهر هؤلاء سنة إحدى وثمانين ومائتين أيام خلافة المعتضد بالله ، ولقد طالت أيامهم واشتدت شوكتهم ، وأرهبوا المسلمين وغدوا خطراً يهددون بإسقاط الدولة العباسية . أقاموا سلسلة من المجازر الوحشية منها ما ذكر البغدادي بقوله : (ثم خرج المعروف منهم بأبي سعيد الحسن بن بهرام على أهل الإحساء والقطيف والبحرين ، فأتى بأتباعه على أعدائه وسبى نساءهم وذراريهم وأحرق المصاحف والمساجد ، ثم استولى على هجر وقتل

(١) المرجع السابق ٢٣٥ .

رجالها،واستعبد ذراريهم ونساءهم،ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقي باليمن وقتل الكثير من أهلها حتى قتل الأطفال والنساء[1] .

ولعل أعظم مجزرةوحشية أقدموا عليها هي قتلهم لعشرات الألوف من الحجاج في موسم الحج سنة ٣١٧ هـ عندما استولوا على مكة فاقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه إلى البحرين ، ثم رد إلى مكانه بعد تدخل الخليفة الفاطمي الذي كان على علاقة حسنة مع القرامطة باعتبارهم من الإسماعيلية أيضاً . نفذ القرامطة إلى قلوب الناس واستمالوا العامة عن طريق تسترهم وراء حق آل علي في الخلافة ، ثم ظهر زيفهم وانكشفت نياتهم بما ارتكبوا من أخلاق رذيلة ، وأعمال فظيعة ، ومخالفة للشرائع واضحة .

أقام القرامطة لهم دولة في البحرين والإحساء والقطيف على أساس مبادئهم وهي : الدهرية ، والقول بالزندقة ، والإيمان بقدم العالم ، والقول بإشتراكية المال والنسّاء .

لقد استعمل القرامطة اليهود في دولتهم ، وذلك في شؤون الإدارة والسياسة ،ولا غرابة في ذلك فإن القرامطة هم من الباطنية، وكان الموجهون الحقيقيون للباطنية من اليهود كما مرّ بنا سابقاً[2] .

إن حركة القرامطة كانت حركة شيوعية من حيث إلحادها وإيمانها بالعنف وإباحيتها . يقول المستشرق الشيوعي الروسي بندلي جوزي : (إن حياة القرامطة الإجتماعية والفردية كانت مبنية على مبادىء شيوعية ، وهي تلك المبادىء التي كانت تبثها وتسعى إلى تحقيقها أئمة الحركة الإسماعيلية ووكلاؤهم في البحرين) .

---

(١) حقيقة البابية والبهائية : محسن عبدالحميد .
(٢) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ص ١٧٠ ـ ١٨٧

ثم يقول :

« . . كانوا بعيدين عن الدين وشعائره الخارجية بعد أكثر شيوعي هذا العصر عنها ؛ إذ أن دينهم الحقيقي هو مطلبهم الكبير الإجتماعي الذي كانوا يعبدونه »[1] .

(١) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٩٩ ، ٢٠٧ .

البابية والبهائية

(١٠٩) هذه فرقة كافرة تسمت بالإسلام بالباطل ، وقد نشأت تحت ستار الغلاة ، والأسس التي وضعها ابن سبأ اليهودي في الإسلام باسم التشيع لآل البيت ، حيث ادعى ميرزا علي محمد المولود في إيران إنتسابه إلى الحسين بن علي ، وأنه الباب إلى الإمام المنتظر ، وادَّعى لنفسه العصمة ثم ما لبث أن ادعى بعد ذلك أنه هو الإمام المنتظر ، وأن الله قد حل فيه ، حتى صدر الحكم بإعدامه في تبريز سنة (١٢٦٥ ـ ١٨٥٠) م .

وكان من أتباعه الميرزا حسين علي المازندراني الملقب بهاء الله ، وهو رجل فارسي نسبا ، شيعي مذهبا متصوف ظاهرا، ادعى أنه الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر ، وأن الباب لم يكن إلا مبشرا به وداعيا له ، فمثله كمثل يوحنا المعمداني مع عيسى عليه السلام . فنفي إلى بغداد ثم إلى تركيا في أدرنة ،ولما دب الخلاف مع أخيه ميرزا يحى ،نفي إلى عكا بفلسطين ونفي أخوه الملقب بصبح أزل إلى قبرص ، أما الآن فإن البهائية قد عادت إلى إيران ، أما ديانتهم وأفكارهم فهي مزيج من الديانة البوذية ، والبرهمية ، والزرادشتية ، واليهودية والمسيحية ، والإسلامية ، ومن اعتقادات الصوفية ، والباطنية ، ومن مبادئها :

ـ أن الشريعة البهائية ناسخة للشريعة الإسلامية .

ـ إن البهاء هو المظهر الكامل ، وأن أستاذه ـ أي الباب ـ قد بشر به ، إن الصوم تسعة عشر يوما، من شروق الشمس إلى غروبها ، بحيث يكون عيد النيروز هو أول عيد فطرهم ، أما الصلاة فتسع ركعات في اليوم والليلةوتكون التكبيرة بـ (يا بهاء الله) وأن تكون قبلتهم مدينة (عكا) بفلسطين التي قبر فيها بهاء الله ، وهم لا يؤمنون بالبعث ولا بالجنة والنار ، ويعتقدون بحلول الله في الأنبياء والرجال ، ولا بين النبي محمد ﷺ والباب

رين، ويقولون : ظهر الله في كل من الباب والبهاء ، كما ظهر في الأئمةالإثني عشر من قبل . وقد رحب اليهود بهذه الحركة التي فيها هدم الإسلام ، لذلك أوعزت القيادة اليهودية إلى يهود إيران أن ينضموا لهذه النحلة ، حتى صار رؤساء هذه النحلة في العراق من اليهود وأتباعهم من الفرس .

وقد احتضن اليهود والإنجليز البهاء وابنه وأتباعه ، وقد طلبوا من البهاء التجنس بالجنسية الإنجليزية ليحافظ على حياته . هذا وقد أصدر القضاء المصري حكما على البهائية قرر فيه أنها ليست سماوية ، بل ليست ديانة مطلقا ، وإنماهي آراء قصد بها هدم الإسلام ونشر الفوضى والإلحاد بين المسلمين . وأبطل مجلس الدولة في القاهرة توثيق الزواج البهائي ، وجعله فاسدا لأنه لا يعترف بأنه دين أومذهب أو طريقة . . كما أن المحاكم العراقية فد امتنعت عن توثيق الزواج البهائي لأنه غير معترف بهذه النحلة كدين أو طائفة[1] .

ودعا شيخ الأزهر في بيان أصدره ردا على ما نشرته الصحف من القبض على فريقين من المواطنين أحدهما يدعي النبوة والآخر يؤمن بالبهائية المجتمع المسلم إلى الدفاع عن الإسلام باجتناب هؤلاء الذين خرجوا على الدين وإجترأوا على رب الناس ، فادعوا النبوة وأهدروا أحكام الله ، وإلى مقاطعتهم وعدم التعامل معهم ، واعتبار مصاهرتهم محرمة ، وطعامهم محرما ، حسب ما جاءت به سنة الرسول محمد ﷺ . وأكد البيان الذي أذاعته وكالة أنباء الشرق الأوسط، أن مذهب البهائية يشتمل على عقائد تخالف الإسلام ويأباها كل الأنبياء حيث يدعي بعض زعماء المذهب النبوة ومن ثم فهو مذهب باطل يرفضه الإسلام . (إن البهائية جماعة سياسية تخضع للصهيونية وتعمل على تنفيذ براجها في الأوطان العربية والإسلامية وآية ذلك أنهم اتخذوا قبلتهم حيفا ومن ثم فهم أدوات للصهيونية العالمية)[2]

(١) كمال الدين الطائي التوحيد والفرق المعاصرة ص ٢١٠ .
(٢) جريدة الخليج العدد : ٢١٦٠ تاريخ ١٥/٣/١٩٨٥ م .

القاديانية

(١١٠) ظهرت هذه النحلة سنة ١٨٧٦ على يد غلام أحمد ، الذي أدَّعى النبوة في قاديان بالهند ، إبّان الحكم البريطاني للقارة الهندية ، وضع لأتباعه قانونا هو أنَّ لا يزوجوا بناتهم لمن لم يكن مصدِّقا بنبوته ، وألقى خطبة مشهورة يعدُّها أتباعه من معجزاته ، وفي سنة ١٩٠٥ زعم أنه أوحي إليه أنَّ أجله قد قرب ، وكتب الكتاب المعروف عندهم بالوصاية ، ولكن أجله امتد بعد ذلك ثلاث سنين ، ومماكان يقول في الخطبة الإلهاميّة: (وكان عيسى علما لبني إسرائيل وأنا علم لكم أيها المفرّطون) .

وقال أحد دعاتهم أبو العطاء الجلبندهري : (كلم الله أحمد ـ يعني غلام أحمد ـ بجميع الطرق التي يكلم بها أنبياءه لأن الأنبياء في وصف النبوة سواء)[1] .

وليس الوحي عند هذه الطائفة الكافرة بمقصور على زعيم نحلتهم ، بل يدعون أنَّ أتباعه أيضا ينزل عليهم الوحي ، وقد جاء في منشور لرئيسهم مطبوع في مصر . (أنَّ طريق الوحي لا يمكن أن يسدَّ في وجوه الناس) وفي هذا المنشور (إنَّ المهدي والمسيح قد ظهرا في الهند بمحل يقال له « قاديان » وأنه يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الإلهي) ومما زعم غلام أحمد أنه أوحي به إليه (وإني جاعلك للناس إماما ينصرك رجال نوحي إليهم) .

وبعد موت خليفته غلام أحمد خلفه نور الدين ، الذي دبَّ الخلاف في حياته فيما بين أتباعه ، وبعد موته ، انقسموا إلى شعبتين الأولى (قاديان) والثانية (لاهور) وزعيمها محمد علي ، مترجم القرآن إلى الإنجليزية ،

---

(١) القاديانية (لشيخ الأزهر الخضر حسين) ص ١٨ .

وظـاهر مـذهب هـذه الشعبـة أنها لا تثبت النبـوة لغـلام أحمـد ، ولكنَّ كتب غلام أحمد مملوءة بإدعاء النبوة والرسالة ؟

ولشعبة لاهور ضلالة هي إنكـار أنْ يكون المسيـح عليه السـلام ، ولد من غـير أب ، وأنَّ أباه هـو يوسف النجـار ، وللقاديـانية حـركـة نشيـطة في الـدعوة إلى نحلتهم ، ولما كانـوا يقيمون هـذه النحلة على شيء من تعـاليم الإسلام ، أمكنهم أن يدَّعوا أنهم دعاة للإسلام ، ولا سيما شعبة لاهـور التي تعلن أن غـلام أحمـد مصلح ومجـدد لا نبي ، وقـد أصبـح النـاس الـذين لا يعرفون هذه النحلة يعتقدون أنهم دعاة للإسلام بحق .

إن الإستعمار الإنجليزي كان يقف وراء الحركتين البهائية والقاديانية ، وهاهو الميزا غلام أحمد يقول في كتـابه (تـرياق القلوب) «لقد قضيت معظم عمري في تأييـد الحكومـة الإنجليزيـةونصرتهـا ، وقد ألفت في منـع الجهاد ، ووجـوب طـاعـة أولي الأمـر (الانجليـز في الهنـد والبـاكستـان) من الكتب والإعـلانات والنشـرات مالـو جمع بعضهـا إلى بعض لملأ خمسين خـزانـة ، ونشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وتـركيا، وكـان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة »(١) .

---

(١) حقيقة البابية والبهائية بقلم محسن عبد الحميد ص ١٩٨ .

عبدالله بن سبأ

(١١١) عبدالله بن سبأ يمنيّ يهودي ، ادعى الإسلام ودخل فيه لغاية ، كما دخل غيره من اليهود الذين بقوا على دينهم منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعداء للمسلمين ، وما فعله في الإسلام بالنسبة للشيعة الروافض الغلاة ، لا يقل عما فعله بولص في النصرانية ، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن[١] (أخذ ابن سبأ يتنقل في الولايات الإسلامية ، ووضع عقائد مذهب الشيعةالغالية في الإسلام ، وانتهى به المطاف إلى مصر حيث أخذ ينشر دعوته التي ألبسها لباس الدين ، وأرسل دعاته إل الأمصار الإسلامية لنشر الدعوة لعلي ، ووضع مذهب الرجعة أي رجعة محمد ﷺ وقال في ذلك إني لأعجب ممن يقول برجعة عيسى ولا يقول برجعة محمد ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾[٢] وزاد ابن سبأ أنَّ محمد أحق بالرجوع من عيسى . ومن هنا نشأ لدى السبأيين من أتباعه مذهب تناسخ الأرواح ، وهو خروج الروح من جسد وحلولها في جسد آخر .

كما نشر ابن سبأ مذهب الوصاية الذي أخذه عن اليهودية دينه القديم ، بمعنى أن عليا وصيُّ محمد ، كما كان يوشع ابن نون وصي موسى عليه السلام ، وأنه خاتم الأوصياء بعد محمد خاتم النبيين ، كما أخذ عن الفرس الذين كانوا يحتلون في صدر الإسلام بلاد اليمن موطنه الأصلي نظرية الحق الإلهي ، بمعنى أنَّ عليا هو الخليفة بعد النبي ، وأنه يستمد الحكم من الله سبحانه)[١] .

---

(١) تاريخ الإسلام الجزء الأول ص ٣٩٥ .

(٢) سورة القصص الاية : ٨٥ .

ولما ولي علي الخلافة تطور مذهب السبئية ، ويذكر ابن حزم (أن قوما من أصحاب عبدالله ابن سبأ أتوا عليا وقالوا له (أنت هو) فقال لهم : (من هو) ؟ فقالوا : (أنت الله) فغضب علي وأظهر الجدَّ وأمر بنار فأوقدت ، وأمر مولاه قنبر بأن يلقي بهؤلاء الرجال فيها ، فجعلوا يقولون وهم يلقون في النار (الآن صح عندنا أنه الله)[1] .

أمر علي بنفي ابن سبأ إلى المدائن ، ولكن هذا لم يثنه عن مواصلة الدعوة لعلي ، فلما مات قالت السبئية برجعته وتوقفه ، وقال ابن سبأ لما بلغه قتل علي : (لو أتيتموني بدماغه سبعين مرة لما صدقنا موته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كما ملئتِ جورا) وذهبت السبئية إلى القول بأن عليا يجيء في السحاب ، وأنَّ الرعد صوته ، والبرق سوطه ، أو تبسمه أو نوره وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما[2] .

أجمع المؤرخون قاطبة شيعة كانوا أم أهل السنة ، أن الذي أضرم نار الفتنة والفساد ، ومشى بين المدن والقرى بالتحريض والإغراء على خلفاء المسلمين ، كان هذا اللعين وشرذمته اليهودية ، وكان يتجول من بلدة إلى بلدة ، وينتقل من قرية إلى قرية ، وقد بسط ذلك الطبري في تاريخه[3] .

---

(١) الملل والنحل جـ ٤ ص ١٨٦ .

(٢) الشهرستاني جـ ٤ ص ١٨٠ وكذلك تاريخ الإسلام جـ ص ٣٩٦ .

(٣) تاريخ الطبري ص ٦٦ جـ ٥ .

رأي الشيعة الإمامية في ابن سبأ

(١١٢) سقنا فيما سلف ما فعله ابن السوداء الصنعاني ابن سبأ في الإسلام ، ولكون ما فعله ذلك الملعون يتناول الفرق المغالية في الشيعة فقد يتوهم بعض الناس أن ذلك هو مذهب غالبية الشيعة ، بما فيهم الإمامية الإثنا عشرية .

نقل إحسان إلهي ظهير ما ذكره عن زين العابدين بن علي بن الحسين عليهما السلام ، أنه قال : (لعن الله من كذب علينا ، إني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمرا عظيما ماله لعنة الله ، كان علي عليه السلام ، والله عبداً لله صالحا أخا رسول الله)[1] .

يقول محمد جواد مغنية (الغلاة أصناف : منهم السبئية أتباع عبدالله بن سبأ وهو أول من أظهر الغلو قال هؤلاء : حلّ في علي جزء إلهي واتّحد بجسده ، وبه يعلم الغيب ، وأتى في الغمام ، والرعد صوته والبرق تبسمه ، وينتقل هذا الجزء الإلهي بنوع من التناسخ من إمام إلى إمام . . إلى أن قال وعلى أي الأحوال فإن للغلاة دينهم الخاص ، وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة ، وما زال كثير من الكتاب ينسب جهلا أوتنكيلا عقيدة الغلاة إلى جميع فرق الشيعة حتى الإمامية، مع أنّ الإمامية قد استدلوا في كتب العقائد والأصول على كفرِ الغلاة ووجوب البراءة منهم، ومن كل ما فيه شائبة الغلو[2] .

---

(١) الشيعة والسنة ص ٣٠ ورجال الكشى ص ١٠٠

(٢) مع الشيعة الإمامية ص ٤٠ .

الأفكار التي وضعها ابن سبأ

(١١٣) دسَّ ابن سبأ على المسلمين أفكاراً باطلة نقلها من اليهود والنصارى ، جازت لبعض هواة الزعامة ، فتلقفوها وجمعوا حولهم ضعفاء الإيمان حتى صارت أساسا لتكوين عدة فرق غالية من فرق الشيعة تعرف بالفرق الباطنية .

ـ تقديس الأئمة من آل البيت ورفعهم فوق البشر ، بما فيهم الأنبياء .
ـ وجوب أن يكون لكل إمام باب يأخذ عنه العلم والفيض الإلهي .
ـ القول بالرجعة للنبي والأئمة .
ـ تأليه الإمام علي ، والحلول الإلهي فيه .
ـ القول بتناسخ الأرواح .
ـ القول بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيل تأويلا .
ـ سب أصحاب رسول الله من غير آل البيت ، مما يؤدي إلى بغض العرب .

قال « المقريزي » (ومن ابن سبأ هذا تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة . وعنه أخذوا القول بأن الجزء الإلهي يحلّ في الأئمة)[١] .

---

(١) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي الحاشية ص ١٨ . وحقيقة البابية والبهائية محمد عبدالحميد .

الكتاب المقدس عند اليهود

(١١٤) الكتاب المقدس عند اليهود شيئان التوراة والتلمود ، ويسمى العهد القديم ، للتميز بينها وبين أسفار الإنجيل التي يطلق عليها العهد الجديد ، ويراد بكلمة العهد بمعنى الميثاق ، وهو الميثاق الذي أخذه الله على اليهود في التوراة ، والذي ذكره الله في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1].

واعتمد اليهود لأسفارهم تسعة وثلاثين سفرا ، اعتبروها مقدسة موحى بها من الله ، وتنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : كتب موسى أو الأسفار الخمسة ، وسوف يأتي الكلام عليها بالتفصيل عند الكلام على التوراة .

القسم الثاني : يسمى بالأسفار التاريخية ، وهي اثنا عشر سفرا تعرض لتاريخ بني اسرائيل ، وتفصل تاريخ قضاتهم ، وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شئونهم ، وهي أسفار يوشع ، والقضاة ، وراعوث وصموئيل والملوك ، وأخبار الايام وعزرا ونحمياوايتدوهي : سفران .

القسم الثالث : ويسمى أسفار الأناشيد والأسفار الشعرية ، وعددها خمسة وهي أناشيد ومواعظ معظمها ديني ، وهي سفر أيوب ومزامير داود ، وأمثال سليمان ،والجامعة من كلام سليمان ، ونشيد الأناشيد لسليمان .

القسم الرابع : يسمى أسفار الأنبياء ، وعددها (١٧) سفرا وتشتمل

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٧٠ .

على تاريخ الأنبياء الذين أرسلوا بعد موسى وهارون، وهي أشعار أشعيا، وأرمياء، ومراثى أرمياء، وحذقيال، ودانيال، ويوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس وميخا وناحوم وحبقوق وصنفيا وحجّي وزكريا وملاحي .

(١١٥) وقد ذكر كثير من المؤرخين بين أسفار العهد القديم كتبا ليست منه الآن، وإنما تعد من الكتب الخفية، كسفر يهوذا أو يهوديت، وكتب المكابين، وسفر يسوع بن سيراخ، كما ذكروا كتبا لا وجود لها بين الكتب المعتمدة، ولا بين الكتب الخفية عند اليهود كالسفر الذي سموه سفر بنيامين، واغفلوا ذكر طائفة من الأسفار المعتمدة، وحرفوا كثيرا من أسماء ما ذكروه منها وممن أشار إلى ذلك العلامة المؤرخ العربي الكبير ابن خلدون في المقدمة[١] . وسوف نتكلم أولا على التوراة ثم على التلمود، وبعد ذلك نعقبها بضرب أمثلة على ما سبقت الإشارة إليه من التحريف والزيادة والنقصان .

وأما بالنسبة للإنجيل (العهد الجديد) فلكون اليهود ينكرون رسالة عيسى ونبوته، فهم تبعا لذلك ينكرون جميع ما ورد عنه من كتاب مقدس ولا يؤمنون به .

(١) ص ٥٩٣ ـ وما بعدها .

التـــــوراة

(١١٦) وهي أسفار العهد القديم ، وهي التي تعرف بصحف موسى أو الأسفار الخمسة وهي سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وهي التي جاء ذكرها في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾[1] وفيما يلي تفصيل لمجملها .

١ ــ سفر التكوين : يقص تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض ، إلى إستقرار أولاد يعقوب في مصر، ويفصل قصص آدم وحواء ونوح ، والطوفان ونسل سام .

٢ ــ سفر الخروج : فيعرض تاريخ بني اسرائيل في مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بني إسرائيل وتاريخهم في أثناء مرحلة التيه التي قضوها في صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما ، وإلى جانب ذلك يشتمل على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وما إلى ذلك .

٣ ــ سفر التثنية : معظمه إعادة لأحكام الشريعة الخاصة بالحروب ، والسياسة ، وشئون الإقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات ، وسمي بالتثنية : لأنه يعيد ذكر التعاليم .

٤ ــ سفر اللاويين : فقد كان معظمه مشتملا على العبادات كالأضحية والقرابين ، والمحرمات من الحيوان والطيور واللاويون هم نسل

---

(١) سورة الأعراف الاية : ١٤٥ .

(لاوي) أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب ، الذي منه موسى وهارون ، وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح والأضحية ، والقرابين والقوامين على الشريعة اليهودية . ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب .

٥ ـ سفر العدد : شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وجميع ما يمكن إحصاؤه من شئونهم، وهذه الأسفار الخمسة التي ينسبها اليهود إلى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة ، فقد ظهر للباحثين من ملاحظات اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الإجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر)، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفري العدد والأويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، أي بعد النفي البابلي الذي سبقت الإشارة إليه في الفقرة الأولى من هذا الفصل (وهو إجلاء بني اسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد) وأنها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل ، فهي إذن تختلف كل الإختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١) ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾

(١) سورة البقرة الآية : ٧٩ .
(٢) آية ٤٦ من سورة النساء .

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ ﴾ وإذ يقول : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾(١)رأى النبي عليه الصلاة والسلام ورقة من التوراة في يد عمر فأمره بإلقائها ، وألا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال : « ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا إتباعي » أي أن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير ، وقد أنزل على الرسول ﷺ في القرآن ملخصا لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص فأحياها في صورتها الصحيحة نقية بيضاء ، وإن موسى لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ .

(١١٧) ويرجع الباحثون أن قسما من الأسفار الأخرى للعهد القديم ، قد ألف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد ويشمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأناشيد ومعظم أسفار الأنبياء ، وأن قسماآخر منها قد ألف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال(٢) .

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٣ .

(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام للدكتور علي عبدالواحد وافى ص ١٨ و ١٧

التلمـــود

(١١٨) في سنة ٧٠ ميلاديه دمّر تيـطس الرومـاني أورشليم وهدم الهيكـل الذي أعـاد بناءه عزرا ، وألغى المجمع العلمي الأعلى (سنهدرين) وبات اليهود ولا ملاذ لهم ، فانتقل جمهور علمائهم إلى طبرية وعملوا بحذق وصمت ، على إعـادة بناء زعامة دينية تعـوض عليهم زعامـة أورشليم وحين تجمـع علماء اليهود في شمال فلسطين ، نظروا فوجدوا أن التوراة تنطوي على أحكـام مختلفة تحتاج إلى شرح وتفسير وتأويل وتوسيع ، فشـرعوا في هـذا وهم آنئذ مـرجع اليهـود بعـد تشتيت تيطس وهـدريان وسمـوا عملهم (بـالمشنـة) ومعنـاهـا الإعـادة والتكـرار ، وانتهو من عملهم المفسـر سنة ٢٠٠ م ثم جعلوا يـوالون العمـل جيلا بعد جيل،ويزدادون في الشـرح وشرح الشـرح ، حتى تم له ذلـك سنة ٤٠٨ م في طبرية ، وسموا مجموع مـا صنعوا أولا وأخيـرا بالتلمـود ، وسمي هذا التلمود بالأورشليمي . وبعد أن اضطهد علماء اليهود زمن البيزنـطيين ، رحل قسم كبير منهم إلى فارس ، وأقبلوا هناك على زيادة التـوسع في التفسـير والشرح ووضعوا تلمودا جديدا هو البابلي ، وشـرحوا المشنّـة التي وضعت في طبرية وسموا شرحهم هـذا (جمارا) . وبلغت مجلدات التلمـود البابـلي أكثر من عشرين مجلدا ضخماً ،ولقد صارت الدولة والصولة بعد ذلك للتلمـوذ ، لأن فيه كل ما تشتهيه غرائز اليهود تحت ستار أحكام التوراة التي تم تفسيرها وتشويه معانيها على أبشع صورة عرفتها الأديان . وأول مرة طبعت فيها المشنة سنة ١٤٩٢ في نابولي ، ثم تكررت الطبعات فكان أهمها ما طبع في امستردام (١٦٤٤) م .

(١١٩) وحين اطلع المسيحيون على الطبعات الأولى للتلمود ، ثاروا على مـا ورد فيها من حقد وتهجم وبغضاء للمسيحية وللمسيحيين ، ولغير اليهود عامة ، مما

أكره اليهود في المائة سنة الماضية على إصدار طبعات خالية من التهجم الصريح عل المسيحية ، وتركت أماكن بيضاء في صفحات عديدة بعد حذف ما كتبوه عن المسيح والمسيحين، واقتصروا في تعليم ونشر آرائهم عن المسيحية على مدارسهم الخاصة في نشرات توزع في نطاق التعليم اليهودي الخالص(١) .

أما عن قدسية التلمود فقد ذكروا أن التلمود يقول : التوراة كالماء والمشنة كالخمر ، والجمارا كالخمر المعطر ، والعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر معطر . ولهذا السبب فإن العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة المشنة والجمارا . فالشريعة هي كالملح ، والمشنة كالبهار والجمارا كالتوابل ، والعالم لا يستطيع أن يعيش بدون ملح وبهار وتوابل ، وقال الحاخام روسكي بأن أقوال الحاخامات أهم من شريعة موسى . وقال اربابي مناحم بأن الله يستشير الحاخامات على الأرض حين توجد معضلة لا يستطيع حلها في السماء . وجاء في التلمود أن جميع كلمات الربانيين في كل عصر ومصر ، هي من كلام الله ، ولذلك فإنها أعظم من كلام الأنبياء ولو كانت متناقضة متنافرة . ومن يسخر منها ويقارع صاحبها ويتأفف منها ، يرتكب إثما عظيما كما لو سخر من الله وقارعه وتأفف منه ، الخطايا المقترفة ضد التلمود أعظم من المقترفة ضد التوراة ، من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت لو أراد الله أن يكتب التلمود برمته على الورق لما وسعته الأرض صحفا مكتوبة ، إذا قال لك الحاخام أن يدك الشمال هي اليمنى ، لا يجوز لك أن تنبذ كلامه(٢) .

(١) جذور البلاد عبدالله التل ص ٧٢ ـ ٧٣ .
(٢) المرجع السابق .

أمثلة للتناقضات في الكتاب

(١٢٠) في العقيدة : صوروا الله تعالى في صور مجسمة ووصفوه بما لا يليق بجلاله .

فمن ذلك مثلا مايرويه سفر التكوين في قضية آدم وحواء أنَّ الله قد نهاهم عن الأكل من شجرة المعرفة لأنه كان يريد إبقاءهما جاهلين ، حتى لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته ، ولما أكلا منها عرفا أنهما مكشوفا السوؤتين ، ولما قدم الإله نحوهماوسمعا صوته وحركته في أثناء سيره ، أختبأ حتى لا يراهما عريانين ، وأخذا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، فاستنتج الإله من إستجوابه لهما أنهما لابد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة ، وأنَّ ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما ، وأنَّ الإنسان قد أصبح أحد الآلهة لتمييزه بين الحسن والقبيح ، وأنه أصبح لزاما أن يطرد من الجنة ، حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي شجرة الخلد فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء[١] .

وقد عرض القرآن في أكثر من موقف لقصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وخروجهما من الجنة ، بدون أن يبدو في أي موقف من هذه المواقف ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته ومخالفته للحوادث[٢] .

مصارعة بين الله وإسرائيل :

« ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه ، وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال ما إسمك فقال يعقوب ، فقال لا يدعى إسمك فيما بعد

(١) الأصحاح الثالث من سفر التكوين .
(٢) الأسفار المقدسة د . علي وافي ص ٢٥ .

يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال أخبرني بإسمك ، فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه . . . »[1] .

يأكلون ويشربون مع الله :

ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صفة من العقيق الأزرق والشفاف وكذات السماء في النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا »[2] .

وقد جاء في القرآن أن موسى نفسه لم يرَ الله سبحانه وتعالى وأنّ أشراف بني إسرائيل الذين توجهوا إلى الله بالتوبة، وعددهم سبعون أخذتهم الزلزلة وصعقوا وأماتهم الله،ثم أحياهم عقابا لهم لأنهم طلبوا من موسى أن يروا الله عز وجل .

وصف الإله بالندم :

« وحينما أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي ،لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقتهم وزاحميهم »[3] .

« وأرسل الله ملاكا على أورشليم لأهلاكها،وفيما هو يهلك رأى الرب فندم على الشر ، وقال للملاك المهلك كفى الآن . . . »[4] .

لا شك أن هذه القصص تصف الله عز وجل بالنقص والكذب والضعف والجهل مما لا يليق بالإله .

---

(١) تكوين صح ٣٢ - ٢٢ - ٢٩ .
(٢) خروج صح ٢٤ : ٩ ، ١٠ .
(٣) أخبار الأيام الأول صح ٢١ : ١٥ .
(٤) قضاة ٢ : ١٨ .

الكتاب المقدس عند النصارى

(١٢١) كتاب النصارى المقدس هو الإنجيل ، ويسمى العهد الجديد ، الذي أنزله الله على عيسى ، وهو مكمِّل للتوراة في رسالة عيسى ، إذْ أنّ المطلوب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالكتابين والعهدين ، ولهذا أطلق عليهم الإسلام أهل الكتاب لكونهما لأمة واحدة ، ولكن الأمور سارت بعكس ذلك فأنكر اليهود الإنجيل وكفروا به ، وهجر النصارى التوراة ولم يعملوا بها .

استقر رأي النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادي على إعتماد سبعة وعشرين سفرا من أسفارهم العديدة ، قرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة ، أي الموحى بها ، أي التي تلقاها أصحابها عن عيسى عليه السلام ، بمعانيها لا بألفاظها ، وهي أربعة أناجيل ، ينسب كل إنجيل إلى اسم مؤلفه ، من الحوارين أو التلاميذ ، وتقع في نحو (١١٠) صفحة من مجموع صفحات العهد الجديد البالغة نحو ٢٥٠ وهي :

الأول : إنجيل متى : ومؤلفه أحد الحواريين الإثني عشر ، ألفه باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة ، والتي كانت مستخدمة في ذلك العصر .

الثاني : انجيل مرقص : هو القديس مرقص أحد التلاميذ السبعين ، ألفه باللغة اليونانية .

الثالث : انجيل لوقا : ألفه القديس لوقا ، وهو أحد التابعين الذين لم يعاصروا عيسى عليه السلام ، ألّفهُ باللغة اليونانية .

الرابع : انجيل يوحنا : ألفه الحواري يوحنا باللغة اليونانية ، ونسبة

هذا الإنجيل إلى هذا الحواري الجليل مشكوك فيها[1] .

(١٢٢) وهناك أناجيل عند النصارى غير معتمدة كانت لديهم في القرنين الأول والثاني للميلاد ، غير هذه الأناجيل الأربعة، وكان لكل فرقة من فرقهم إنجيلها الخاص بها الذي تعتمد عليه وتغفل ما عداه ، فكان هناك إنجيل ينسب لمتى غير إنجيله السابق ذكره آنفاً ، وإنجيل ينسب لبرنابا ، وإنجيل ينسب للحواري يعقوب ، وإنجيل ينسب للحواري توماس ، وفيها ذكر عن مريم وطفولةالمسيح أغفلتها الأناجيل الأربعة ، وإنجيل ينسب للقديس نيكو ديم (أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح) وقد لقي المسيح وآمن به ، وكتب انجيله باليونانية ، ويقص فيه تفاصيل لم تذكرها الأناجيل الأربعة ، عن موت المسيح ونزوله ، وانجيل يقال انجيل السبعين وينسب إلى تلامس ، وإنجيل يقال له « إنجيل الإثنى عشر » وإنجيل اشتهر باسم « التذكرة » وإنجيل كان يسمى « إنجيل العبرانيين أو الناصريين » وإنجيل كان يسمّى إنجيل المصريين ، وكان لكل من أتباع ديصان وأتباع ماني وأتباع مرقيون أو مرسيو ولأتباع ابيون إنجيل خاص يختلف عن انجيل من عداهم ، وغيرها من الأناجيل الكثيرة التي اختفت أو أحرقت .

---

(١) راجع في ذلك الأسفار المقدسة د / علي وافى ص ٦٧ .

إنجيل الأبيونيين

(١٢٣) فهو إنجيل مدون باللغة الآرامية كانت تتمسك به فرقة من النصارى ، تسمى فرقة الأبيونيين نسبة إلى زعيمها إبيون ، وقد ظل لهذه الفرقة أتباع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي ، ثم انقرضت بعد ذلك ، ويقر هذا الإنجيل جميع شرائع موسى ، ويعتبر عيسى هو المسيح المنتظر ، الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وينكر ألوهيته ، ويعتبره مجرد بشر رسول، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم .

انجيل برنابا

(١٢٤) فهو منسوب للقديس برنابا ، وكان معروفا لدى النصارى منذ أقدم عصورهم أنَّ لبرنابا إنجيلا ، وورد ذكر هذا الإنجيل فيما ينسب لقدامى رجال الكنيسة من بحوث وقرارات ، ومن ذلك القرار الذي أصدره البابا جلاسيوس الأول ، الذي تولى بابوية الكنيسة الكاثوليكية بروما سنة ٤٩٢ إلى ٤٩٦ ، وعدد فيه الكتب المنهى عن قراءتها ، وذكر من بين هذه الكتب إنجيل برنابا ، وهذا يدل على أنَّ إنجيل برنابا كان معروفا في القرن الخامس الميلادي ، أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ بنحو قرنين ، وقد اختفت نسخه ، ولكن مكتبة البابا سكتس الخامس بروما احتفظت بنسخة منه ، ثم اختفت من المكتبة حوالي القرن السادس عشر ، ثم ضمنت مكتبة أحد وجهاء امستردام تلك النسخة المسروقة ، أو شبيهة لها حيث بقيت حتى القرن الثامن عشر .

ويشكك بعض باحثي النصارى بأنَّ هذا الإنجيل موضوع بقلم يهودي تنصَّر ثم أسلم، وتحمَّس للإسلام لكثرة ما تضمنه من توافق بين النصراينة والإسلام ، ولما اشتمل عليه من بشارة النبي محمد ﷺ .

أقول : والإسلام ليس في حاجة للتأييد في أي من هذه الأناجيل جميعها فما جاء فيه عن عيسى هو الحق ، وما سواه هو الباطل . وقد امتدح هذه النسخة أحد مستشاري ملك بروسيا ثم استعارها منه ، ثم انتقلت هذه النسخة إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث لا تزال هذه النسخة موجودة حتى الآن ، وهي مكتوبة بالإيطالية ، وعلى هامشها تعليقات بلغة عربية ركيكة ، مما يؤكد أنَّ كاتبها غير عربي ، وهناك نسخة أخرى لهذا الإنجيل باللغة الإسبانية ظهرت حوالي سنة ١٧٨٤ م ولكنها فقدت بعد ذلك ، وقد

نشرها بعد ذلك العلامة الشيخ محمد رشيد رضا، وقدم لها بمقدمة هامة. والكتاب شاهد على ما أدخل في النصرانية من تزييف وتحريف ، أنزل الله به من سلطان .

بقية أسفار العهد الجديد

(١٢٥) خلاف ما ذكرنا من الأناجيل العديدة ، والأناجيل الأربعة المعتمدة هناك ثلاثة وعشرون سفرا نجملها بالآتي :

أولا : سفران منفردان ، وهما سفر أعمال الرسل للوقا ، وسفر رؤيا يوحنا .

ثانيا : مجموعتان من الأسفار : تضم أحدها أربعة عشر سفرا ، وهي رسائل بولس ، وتضم الأخرى سبعة أسفار : وهي الرسائل الكاثوليكية .

وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانةالنصرانية وشرائعها ، وعباداتها وأخلاقها ، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح ونبوته ومبدأ التثليث .

ومن أجل ذلك تعتمد النصرانية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من إعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد ، وتنسب هذه النصرانية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه ، حتى أنَّ كلمة الرسول إذا أطلقت تنصرف إليه وحده .

مدى صحة الأناجيل

(١٢٦) إن هـذه الأناجيـل التي يقـال إنَّها هي المعتمـدة بمـا فيهـا الأربعـة ، يشكـك الباحثون في مدى صحتها ومدى صدورهـا عن المسيح نفسـه علية السـلام . لأسباب عديدة نذكرها بالآتي :

أولا : تعارضها مع التوراة التي يؤمن بها عيسى والتي جاء ليكملهـا ، فالتوراة تدعو إلى توحيد الله وهـذه الأناجيـل تدعـو إلى التثليث ، كما أنَّها في نفس الوقت تعارض كـذلك القـرآن في كثير ممـا ورد فيها بشـأن عيسى وأهل الكتـاب وتواريخهـا ، وقصصهم ممـا لا يمكن للنبي محمـد ﷺ أن يعلمـه من نفسه إلاّ أن يكون بوحي الله له .

ثانيا : إختلاف الأناجيل مع بعضها إختلافـا كبيـرا، بـل إنّ بعضها فيـه زيادات غـير مـوجودة في غيـره ، مما أعجـز رجال الـدين النصـارى الردُّ عـلى المتسائلين ، وشكك الباحثين .

ثالثا : هذه الأناجيل المتعارضة مع نفسها ، ومع غيرها مما اعتمدوا ، ومالم يعتمدوا لم تنقـل عن المسيح عليـه السلام بـالنصٍّ عن الله عز وجـل في حينها ، كما نقل القرآن عن النبي محمد ﷺ وهو حي وحفظ عن ظهر قلب ، بل إنًها حررت بالمعنى كما يروى نقلتها بعـد ١٤٠ سنة من وفاة المسيح عليه السلام .

والمشكل في هذه الأناجيل أنها كتبت على ما تبنـاه بولس من معتقـدات سجًلهـا في رسائله بـين سنة ٥٥ سنـة و٦٣ م في تـدوين كتـاب الله ، أوجـد فرصة لتغير العقائد وزيغها .

رابعا : معـارضتها للمعارف الحديثة ، وتناقضها مع إكتشافات العلم

الحديث في الوقت الذي تؤكد النظريات التي اكتشفت صدق ما ورد في القرآن الكريم ، فكيف ينسب إلى الله ورسوله شيء من هذ القبيل ؟!

أمثلة أربعة حول الأناجيل الأربعة

أولا : في توحيد الله :

(١٢٧) إذا كانت التوراة والإنجيل لأمة واحدة من إله واحد فكيف يقول الله في التوراة « أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيره ، كل شيء أنا أعلم به . . . أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدي ، باسط الأرض من معي ؟ مبطل آيات المخادعين ، ومحمق العرافين ، مرجع الحكماء إلى الوراء ، ومجهل معرفتهم ، مقيم كلمة عبده ومتمم رأي رسله[١] »

ويقول النصارى أنه قد جاء في الإنجيل ما نصه « لكننا إذا اطلعنا على كنه الله لا يسعنا إلا القول بالتثليث ، وإنّ المسيح ابن الله »[٢] والفداء والخلاص لا تحتاج إلى ما يؤيدها من الإنجيل فهي عقيدة راسخة لدى جميع الطوائف المسيحية ، وهي عقيدة معارضة لجميع عقائد الأنبياء والرسل .

وفي القرآن يقول الله عز وجل ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ وقوله ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٣]

ثانيا : إختلاف الأناجيل :

(١٢٨) إن الأناجيل الثلاثة الأولى (مرقص ولوقا ومتى) ليس فيها ما يدل على

---

(١) اشعيا الأصحاح ٤٥ .

(٢) (يوحناالأولى ٤ / ١٦) .

(٣) سورة المائدة الآية : ٧٢ ـ ٧٥ .

ألوهية المسيح ، مع إستحالة أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أمرا أساسياً هو في الحقيقة أهم أسس الدين المسيحي وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلا في الديانة لديهم لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة . والأب بولس إلياس مؤلف كتاب « يسوع المسيح » يثبت الغفلة والخطأ على أصحاب الأناجيل ، أو الإنجيليين كما يسميهم ، ومثل ذلك يفقد الثقة فيما ينسب لهؤلاء .

ويسوق الدكتور أحمد شلبي نصّين من الكتاب المذكور الذي يصف صاحبه بأنه عالم مسيحي متبحر « ومن المؤكد أن مرقص كتب إنجيله قبيل سنة ٧٠ م أي قبل خراب أورشليم في عهد تيطس لأنه لو كان كتبه بعد هذا التاريخ لماكان أخطأ فهم نبوءة المسيح عن خراب أورشليم كمتى ولوقا اللذين ظنا أنّ المسيح يقصد من نبوءته هذه خراب الدينونة الأخير لأورشليم وإلا كان أصلح خطأه »[1] .

وينقل الدكتور موريس بوكاي عن الأب روجي قوله « فإن مرقص كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين إبتذالا ، فهو لا يعرف أبدا كيف يحرر حكاية » ، ثم يردف قائلا أنّ إنجيل مرقص يتناقض مع إنجيل متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث ، وأكثر من ذلك فبمناسبة الآيات التي يعطيها المسيح للبشر في أثناء بعثته ، يسرد مرقص حكاية لم تعد قابلة للتصديق « فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح ، وليسوقوه إلى فخ طلبوا منه آية من السماء ـ تنهد المسيح بعمق وقال : لماذا يطلب هذا الجيل آية . . . ؟ الحق أقول لكم ، لن يعطى هذا الجيل آية ، ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليمضي إلى الضفة الأخرى » .

والمعلقون على الترجمة المسكونية ، عندما يتعجبون من إعلان لوقا بأن المسيح لن يعطي إلا آية واحدة ، آية يونس (أنظر إنجيل متى) يحكمون في الوقت نفسه بوجود مفارقة بين قول مرقص بأنه « لن يكون لهذا الجيل آية »

---

(١) ص ٢٥ ـ ٢٦ والدكتور أحمد شلبي المسيحية ص ١٧٧ .

وبين المعجزات التي يقدمها المسيح نفسه كآيات[1] .

ولكون إنجيل مرقص أقل من الأناجيل الأخرى فقد أضيفت إليه مخطوطات يونانية أقرب عهدا ، وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضوع خاتمة عن ظهور المسيح ، لا تنسب لمرقص وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى .

ويعلق الأب كانينجسر على هذه الخاتمة بما يلي : لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الإستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا تم توليف خاتمة لمرقص ، وذلك بالإستعانة بعناصر من هنا ومن هناك ، لدى المبشرين الآخرين ، ومن السَّهل الإستدلال على ذلك مرقص (١٦) من ٩ إلى ٢٠) ذلك يسمح بتكوين فكرةمادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها النوع الأدبي الخاص بالحديث الإنجيلي ، حتى أعتاب القرن الثامن ، ياله من إعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة ، يا له من إعتراف ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير . .[2]

(١٢٩) **ثالثا** : هذه الأناجيل ليست كلام الله ، ولا كلام المسيح عليه السلام ، وإنّما هي من تأليف البشر ، انظر إنجيل (متى) من أول الفصل الرابع إلى الرقم السادس والسابع ففيهما الصريح بأنَّ عيسى عبد ، والله سيد ورب ، لقوله في الآية السابقة قد كتب أيضا (لا تمتحن الرب إلهك) وفي هذا الفصل نفسه (إنَّ الشيطان حمل المسيح وأخذ يطوف به من مكان إلى مكان) فكيف يستطيع الشيطان أن يحمل الإله ، (ثم أمره الشيطان أن يسجد له ويعبده وأطمعه بمال الدنيا ، أجابه المسيح بقوله قد جاء في الكتب السابقة ، لا تسجد إلا للرب إلهك) وهو وحده نعبده والآية العاشرة (لم يسمِّ المسيح نفسه ابن الله ، فيما أعلم وإنما كان يسمي نفسه ابن الإنسان إلا أنه سمع تسميته بذلك فلم ينكرها) .

---

(١) انجيل لوقا الأصحاح ٧ ـ الآية : ٢٢ . والأصحاح ١١ الآية : ٢٠ .

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (موريس بوكاي ص ٨٦ ـ ٨٧)

أقـول : يكثر التعبـير في التوراة والأنـاجيل أن يسمى كـل تقي بر ابن الله ، بـدليل مـاجاء في الآيـة التـاسعـة من الفصـل الخـامس (متى) طـوبى لصانعي السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون ، وجاء في الفصل نفسه رقم (٤٥) (لتكـونـوا أبنـاء أبيكم الـذي في الســماء ، وفي رقم (٤٨) (فكـونــوا أنتم كاملين ، كما أنَّ أباكم الذي في السماء كامل) .

وقـد جاء في القرآن مثل هـذا فيما حكـاه الله على لسـان يوسف حينـما خاطب صاحبه في السجن الذي أطلق سراحه ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾[1] ويقصد بـذلك الملك . وحـديث الرسـول ﷺ (الناس عيال الله) .

رابعا : الأناجيل والعلم

(١٣٠) نسبة المسيح : مما تجدر ملاحظته أنّ إنجيل متى ولوقا حينما ذكرا نسب المسيح عليـه السلام من جهـة الرجـال دون ذكر لأمـه الـذي يجب أن يكـون نسبـه إليها ، بل أن متى ومرقص ويوحنا قد ذكروا أنّ له إخوة وأخوات[2] ، ولـوقا يعطي نسبا للمسيـح يختلف عن ذلك الـذي في إنجيل متى ، ولقـد أحرجت سلسلة الأنسال التي جاءت في متى ولوقا المعلقين المسيحيين فهم يـرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج الخيال الإنساني ، فمتّى الذي يبدأ بالسلسلة من آدم لما ابتدأهـا من إبراهم عليـه السلام ذكـر أنَّ العـدد الأول من بعـد داود (٢٧) في حين أن لوقا الذي ابتـدأ نسب المسيح من آدم ذكـر العدد من بعـد داود (٤٢) والجدول التالي يبين لنا ذلك بوضوح :

---

(١) سورة يوسف الآيه : (٥٠)

(٢) (متى ١٣ ـ ٤٦ ـ ٥٠ و ٥٤ ـ ٥٨) ـ (مرقس ٦ ، ١ ـ ٦) ، (يوحنا ٧ ـ ٣ ـ ٢ ـ ١٢) .

متى — **لم يذكر أي اسم قبل ابراهيم**

١	ابراهيم
٢	اسحق
٣	يعقوب
٤	يهوذا
٥	فارض
٦	حصرون
٧	آرام
٨	عميناداب
٩	نعشون
١٠	سليمان
١١	بوعز
١٢	عبيد
١٣	يسى
١٤	داود
١٥	سليمان
١٦	رحبعام
١٧	أبيا
١٨	أسا
١٩	يوشافاط
٢٠	يورام
٢١	عزيا
٢٢	يوتام
٢٣	أجاز
٢٤	حزقيا
٢٥	منسى
٢٦	أموت
٢٧	يوشيا
٢٨	يكينا
٢٩	شالتئيل
٣٠	زربابل
٣١	ابيهود
٣٢	الياقيم
٣٣	عازور
٣٤	صادوق
٣٥	أكيم
٣٦	اليهود
٣٧	العازار
٣٨	مقان
٣٩	يعقوب
٤٠	يوسف
٤١	عيسى

لوقا : (من آدم - إلى - تارح ٢٠)

١	آدم	٢١	ابراهيم	٤٠	الياقيم	٥٩	يوحنا
٢	شيت	٢٢	اسحق	٤١	يونان	٦٠	يهوذا
٣	اندش	٢٣	يعقوب	٤٢	يوسف	٦١	يوسف
٤	قينان	٢٤	يهوذا	٤٣	يهوذا	٦٢	سمعى
٥	مهلئيل	٢٥	فارض	٤٤	شمعون	٦٣	متتبا
٦	يارد	٢٦	حصرون	٤٥	لاوي	٦٤	مآت
٧	اخنوخ	٢٧	عرنى	٤٦	متات	٦٥	نجاى
٨	متوشالح	٢٨	ادمنى	٤٧	يوريوم	٦٦	مسلي
٩	لامك	٢٩	عميناداب	٤٨	عازر	٦٧	ناحوم
١٠	نوح	٣٠	نخشون	٤٩	موسى	٦٨	عاموس
١١	سام	٣١	شالح	٥٠	غير	٦٩	متيتيا
١٢	أرفكشاد	٣٢	برعز	٥١	المودام	٧٠	يوسف
١٣	قينان	٣٣	عوبيد	٥٢	قوسام	٧١	ينا
١٤	شالح	٣٤	يسى	٥٣	آدى	٧٢	ملكي
١٥	عابر	٣٥	داود	٥٤	ملكى	٧٣	لاوي
١٦	فالج	٣٦	ناتان	٥٥	نيرى	٧٤	متات
١٧	راعو	٣٧	متانا	٥٦	شالتئيل	٧٥	عالى
١٨	سروج	٣٨	منا	٥٧	زربابل	٧٦	يوسف
١٩	ناحور	٣٩	مليا	٥٨	ريسا	٧٧	عيسى
٢٠	تارح						

الكتاب المقدس عند المسلمين

الكتاب المقدس عند المسلمين هو القرآن ، ثم تـأتي من بعده السنـة ، ويطلقون عليهما الكتاب والسنـة فالأول كـلام الله عز وجـل نزل بـه جبريـل عليه السلام على النبي محمد ﷺ ، والثاني أقوال النبي وأفعـاله وتقـريراتـه ، وسوف نتكلم على كل واحد بالتفصيل .

القـــــــرآن

(١٣١) يؤمن المسلمون بأن القرآن كلام الله ، أنزله عـلى رسولـه محمد ﷺ في حيـاته منجـماً أي مفرقـا ، بالـوحي من الله ، ونعني بالمفـرق أنه لم ينـزل عليـه مـرة واحدة بل كان ينزل سوراً وآيات بحسب الحوادث التي تقع ، أو عـلى شكل إجابات لأسئلة توجه للنبي من المشركين ، أو من اليهـود والنصارى ، فكـان النبي ينتظر نزول القرآن عليه فيجيب على ذلك ، وكان للقرآن الذي ينزل ، كتبة يسجلونه ، أولا بأول ، والرسول ﷺ يقول لهم ضعـوا هذه الآيـة مكان كـذا ، وهذه السـورة مكان كـذا ، فكان تـرتيب الآيات والسـور وقفا عليـه ﷺ ، بل إنّ القرآن كـان يتلى في الصلوات الخمس وكـان له حفـظة كثيرون يحفظونه عن ظهر قلب بحياة الـرسول ، واعتـاد المسلمون أن يقـرؤوا القرآن كاملا عن ظهـر قلب في رمضان بصـلاة التراويـح ، وصلاة القيـام ولا زالوا حتى اليوم كذلك ولو أنّ شخصا أخطأ في القراءة أو الكتابـة بكلمة أو حـرف أو صوت لوجد من يرده في الحال ، وقد نقـل القرآن للنـاس متواترا جماعات عن جماعات ولم ينقل آحادا ولا أفرادا عن أفراد ، وهذا مصداق قـول الله عزَّ وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1] ، ولم ينتقل الرسـول ﷺ

---

(١) الحجر الآية : ٩ .

للرفيق الأعلى إلا والقرآن قد دون جميعه ، فحين استشهد في جهاد أهل الردة عدد كبير من حفظة القرآن من الصحابة جمعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أيد الناس ومن صدور الحفاظ في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة ، وكان من بين الذين قاموا بهذا الأمر زيد بن ثابت ، وهو أحد كتبة الوحي ، ولما توفي أبو بكر ، وقام بالأمر بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان يحتفظ كذلك بالمصحف حتى توفي ثم احتفظ به عند حفصة زوجة الرسول ﷺ ، ولما كان في الثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه حضر حذيفة بن اليمان فتح أرمينية وأذربيجان فرأى الناس يختلفون في القرآن ويقول أحدهم قراءتي أصح من قراءتك ، فأفزعه ذلك وقدم على عثمان وقال أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا إختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها إليك فأرسلتها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ، فكتب منها عدةمصاحف وجه بمصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفا بالمدينة . وأمسك لنفسه مصحفا هو الذي يقال له الإمام ووجه بمصحف إلى مكة ، وبمصحف إلى اليمن ، وبمصحف إلى البحرين وأجمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف ، وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ ، إذ الإعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط .

هذا وقد وجدت بعض من المصاحف التي نسخت في عهد عثمان في طشقند واستانبول ، هذا والقرآن الذي كان يتلى أيام حياة الرسول ﷺ هو القرآن الذي يتلوه المسلمون اليوم والمصاحف التي كتبت في عهد الصحابة هي نفس المصاحف الموجودة الآن بين أيدي ملايين المسلمين .

السنة

(١٣٢) وهي أحاديث الرسول ﷺ نفسه ، وهي إما أقواله أو أفعاله أو تقريراته التي يقر أصحابه على ما يفعلونه أو يسكت عنها ، وهي تختلف في إسلوبها وصيغها عن القرآن الكريم مما يجعلها متميزة عن كلام الله ، لكل من يقرأ القرآن ، ولا يشك المسلمون ، في أن الرسول ﷺ لا ينطق إلا صدقا ، ولا يقول إلا الحق ، ولا يقر إلا ما هو شرع الله .

ومثلما كان الصحابة يحفظون القرآن الكريم ، كانوا كذلك **يحفظ** كل منهم عن ظهر قلب ما قاله الرسول وما أقره من الوقائع التي **شهدها** كل واحد منهم ، ولذا جاء التفاوت في النقل فمن كان ملازما للرسول ﷺ حفظ أكثر من غيره .

ولم تدون السنة في حياة الرسول ﷺ لنهيه عن ذلك لكي لا يختلط شيء منها مع القرآن . وبدأ تدوينها في مطلع القرن الثاني للهجرة ، حيث أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك وكتب إلى أبي بكر بن حزم يقول له « أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » .[1] وكتب كذلك إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية لجمع الحديث ، وإلى ابن شهاب الزهري المدني ، ولم ينقض القرن الثالث حتى كانت رواية الحديث وجمعه وتدوينه قد فرغ منها ، فانتقل من الصدور إلى الكتب ، ولم يبق إلا النزر اليسير ، وفي هذا الوقت ظهرت الكتب الستة التي لم تغادر من صحيح الأحاديث إلا اليسير .

ولماكان قد دخل في الإسلام أعداد كثيرة من الناس ، منهم الصادق في

---

(١) رواه البخاري كتاب العلم .

إسلامه ، ومنهم المنافق واليهودي والنصراني المتظاهر في الإسلام ، فقد دسّ في الأحاديث الشيء الكثير غير الصحيح المنسوب للرسول ﷺ وصحابته ، مما جعل العلماء والمحدثون ينصرفون بعد ذلك مباشرة إلى البحث والنقد والتمحيص ، في روايات هذه الأحاديث وسندها ، وتمييز الموثوق من غير الموثوق على أساس قواعد علم مصطلح الحديث وموازينه الدقيقة في الجرح والتعديل ، فلم ينقض القرن الرابع حتى تمت تنقيةالحديث النبوي من الدخيل ، وتمييز الصحيح من العليل ، ثم انصرفوا بعد ذلك إلى الشرح والتفسير والتفصيل فلا يكاد يمر حديث إلا ويعرف رجاله الذين نقلوه مسلسلا من الرسول ﷺ حتى آخر من دونه ، ونعطي على ذلك مثلا ، فالبخاري لا يكتفي بأن سلسلة رجال الحديث الذين نقلوه ثقات غير مطعون فيهم ، بل إنه يضيف إلى ذلك أن يكون كل واحد منهم قد رأى الشخص الذي نقل عنه وعرفه .

والسنة إما أحاديث متواترة : وهي التي نقلها جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وتكثر في السنة العملية ، مثل ما علم من الدين بالضرورة ، كعدد حركات الصلاة وأما أحاديث آحاد : وهي التي نقلها فرد ثقة عن فرد ثقة ، وتسمى جميعها بالأحاديث الصحيحة ولها كتب معروفة تميزها عن غيرها من الأحاديث المكذوبة أو الضعيفة التي لا تقبل ولها كتب معروفة تميزها عن غيرها لتجنبها .

فهرس كتاب الأديان المعاصرة

الدعوة

رقم الفقرة — رقم الصفحة

الشعائر والعبادات

الشعائر عند النصارى

نظام الأسرة

الفرق والطوائف

مراجع الكتـــاب

١	القرآن الكريم	
٢	الإنجيل	
٣	صحيح مسلم	للإمـام مسلم
٤	تفسير الجلالين	لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي
٦	تفسير ابن كثير	
٧	تفسير سورة يوسف	عبد الله العلمي
٨	تفسير مشكل القرآن	راشد الفرحان
٩	المعجم المفهرس	محمد فؤاد عبد الباقي
١٠	الدين المقارن (اليهودية)	الدكتور أحمد شلبي
١١	الدين المقارن (المسيحية)	الدكتور أحمد شلبي
١٢	الدين المقارن (المسيحية)	أحمد عبد المنعم الحلواني
١٣	الدين المقارن (اليهودية)	أحمد عبد المنعم الحلواني
١٤	الأسفار المقدسة في الأديان	الدكتور علي عبد الواحد واني
١٥	أديان العالم الكبرى	حبيب سعيد
١٦	القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم	موريس بوكاي
١٧	البراهين الإنجيلية	محمد تقي الدين الهلالي
١٨	التعصب والتسامح	محمد الغزالي
١٩	الأفعى اليهودية	عبد الله التل
٢٠	جذور البلاء	عبد الله التل
٢١	دروس في كلية الحقوق	عبد الفتاح عبدالباقي
٢٢	كتاب الفتاوي	محمود شلتوت

٢٣	محاضرات في النصرانية	محمد أبو زهرة
٢٤	قوانين الأحوال الشخصية	مجلة المحامين
٢٥	وحدة الفلسفة والعلم والدين	للسيد أبو الفيض
٢٦	النظام الإجتماعي في الإسلام	راشد الفرحان
٢٧	جريدة الخليج	العدد ٢١٦٠ ١٥/٣/٨٥
٢٨	تاريخ الإسلام	الدكتور حسن ابراهيم
٢٩	تاريخ الطبري	ابن جرير الطبري
٣٠	المقدمة	لابن خلدون
٣١	قصص الأنبياء	عبد الوهاب النجار
٣٢	التوحيد والفرق المعاصرة	كمال الدين الطائي
٣٣	الملل والنحل	عبد الكريم الشهرستاني
٣٤	البهائية سراب	عبد الله آل النوري
٣٥	القاديانية	الخضر حسين
٣٦	الشيعة في عقائدهم وأحكامهم	أمير القزويني
٣٧	الإمام المنتظر	أمير القزويني
٣٨	عقائد الشيعة الامامية	رضا مظفر
٣٩	أصل الشيعة وأصولها	محمد الحسين آل كاشف الغطاء
٤٠	الشيعة والسنة	إحسان إلهي
٤١	مع الشيعة الامامية	محمد جواد مغنية
٤٢	طائفة الإسماعيلية	محمد كامل حسين
٤٣	النصيرية	عبد الحسين مهدي العسكري
٤٤	قصة الحضارة	ول ديورانت
٤٥	نظرة الغرب إلى الإسلام	رسذرن
٤٦	الفرق المعاصرة في الشمال الإفريقي	الفرد بل
٤٧	يسوع المسيح	الأب بولص اليسوعي
٤٨	عقيدة التوحد في العالم المعاصر (محاضرة)	الكردينال كوينج

٤٩ الملل المعاصرة في الدين اليهودي — الدكتور اسماعيل راجي الفاروقي
(محاضرة)

٥٠ حقيقة البابية والبهائية — محسن عبد الحميد

٥١ يهود اليوم ليسوا يهوداً — بنيامين فريدمان ترجمة زهدي الفاتح
(دار النفائس)

٥٢ وحدة الدين والفلسفة والعلم — للسيد ابو الفيض

٥٣ تقرير اللجنة الدولية المقدم الى عصبة الامم عام ١٩٣٠

كتــب للمؤلف

١ ـ الصيام في الإسلام : طبع في القاهرة سنة ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .
٢ ـ مختصر تاريخ الكويت : طبع في القاهرة سنة ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .
٣ ـ النظام الإجتماعي في الإسلام بين الرجل والمرأة : طبع في الكويت سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م .
٤ ـ تفسير مشكل القرآن : طبع في الكويت سنة ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م .
وطبع كذلك سنة ١٩٨٤
٥ ـ جواب النسخ في القرآن الكريم (مخطوط)
٦ ـ تفسير القرآن الكريم (مخطوط) .
٧ ـ الأديان المعاصرة